كتاب اليوم

نجيب محفوظ.. والإخوان المسلمون

مصطفى بيومى

سبتمبر 2005

بعد نجاح الإفتتاح التجريبى
مصر كلها فى سوبر ماركت الفرسان
Al Forsan
Super Market
أول
سوبر ماركت للسيارات
فى مصر والشرق الأوسط
الدخول بالدعوات
"الدعوات متوفرة فى جميع فروع الفرسان
Super Market
Now Open

كتاب اليوم

سبتمبر 2005

رئيس مجلس الإدارة

محمد عهدى فضلى

رئيس التحـــرير

نـوال مصطفى

نجيب محفوظ..
والإخوان المسلمون

مصطفى بيومى

أخبار اليوم

دار أخبار اليوم

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم

يصدر عن دار أخبار اليوم أول كل شهر

العدد رقم/ ٤٧٣

سبتمبر ٢٠٠٥

٦ شارع الصحافة ـ القاهرة

ت: ٥٨٠٦٢٣٥

تليفاكس: ٥٧٨٤٤٤٤

الغلاف

اهداء من الفنان :

عمرو فهمى

تخفيض ١٠٪ من قيمة الاشتراك لطلبة المدارس والجامعات المصرية

أسعار البيع فى الخارج

سوريا	١٠٠ ل.س
لبنان	٤٠٠٠ ل.ل
الأردن	١,٥ دينار
الكويت	١ دينار
السعودية	١٠ ريال
البحرين	١ دينار
قطر	١٠ ديال
الإمارات	١٠ درهم
سلطنة عمان	١ ريال
تونس	٢ دينار
المغرب	٣٠ درهم
اليمن	٣٠٠ ريال
فلسطين	٢ دولار
لندن	٢ جك
أمريكا	٥ دولار
أستراليا	٥ دولار استرالي
سويسرا	٥ فرنك سويسري

الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية	٧٢ جنيها
الدول العربية	٣٣ دولاراً أمريكياً
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا	٤١ دولاراً أمريكياً
أمريكا وكندا	٤٧ دولاراً أمريكياً
باقى دول العالم	٦٢ دولاراً أمريكياً

العنوان على الإنترنت

www.akhbarelyom.org.eg/ketab

البريد الاليكترونى

ketabelyom@akhbarelyom.org

هذا الكتاب.. وهذا الكاتب

استوقفني هذا النص المهم، المثير للنقاش والجدل، المحفز للتفكير والتحليل، الدافع للتأمل، فأخترته من بين نصوص عديدة ليكون «كتاب اليوم» لشهر سبتمبر ٢٠٠٥.

وإذا كان لكل إختيار سبب أو أسباب.. فلعل أهم تلك الأسباب أن هذا الكتاب يتعرض لموضوع جديد، بزاوية رؤية مختلفة.

فالسؤال المحوري الذي يدور حوله موضوع الكتاب هو: كيف ظهرت الشخصية الإخوانية في أدب كاتبنا القدير «نجيب محفوظ».. كيف رسمها بقلمه وشخصها وحلل أعماقها وغاص في تركيبتها النفسية؟ ما هي خصائص تلك الشخصية وما هي أهم ملامحها الفكرية والإنسانية؟

وضع الكاتب كل تلك الأسئلة أمامه، ثم بدأ رحلة البحث منقباً في روايات «نجيب محفوظ»، ومستخلصاً لكل الشخصيات التي تعبر عن فكر الإخوان المسلمين، محللاً لأفعال تلك الشخصية، مواقفها، كيفية تعبيرها عن نفسها.. كل ذلك من خلال السياق التاريخي والاجتماعي الذي أفرز الشخصية.

ولا شك أن جماعة الإخوان المسلمين تعد من أهم القوى السياسية في مصر، وأنها منذ تأسيسها عام ١٩٢٨.. على يد الشيخ حسن البنا وهي تلعب دوراً مؤثراً على مسرح الحياة السياسية في مصر.

ولا شك أيضاً أن هذا الدور تمت محاصرته ومواجهته، بصرامة في عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، فتم إعتقال العديد من رموز تلك الجماعة، كما شهد عصر عبدالناصر إعدام أحد أهم رموز الجماعة «سيد قطب».. ثم جاء الرئيس الراحل أنور السادات ليغازل ذلك التيار أملاً في محاصرة الفكر اليساري والشيوعي وإضعاف تأثيره في تشكيل الوعي.. ولم يكن يعلم أن نهايته التراجيدية ستكون على أيدي متطرفين إسلاميين.

ويشرح الكاتب ذلك الإلتباس الذي يحدث عند بعض الناس في الخلط بين الإسلام كدين.. وبين الجماعة كتنظيم سياسي. ويؤكد أنه خلط غير مأمون العواقب فالإسلام كدين هو ما يدين ويؤمن به معظم المصريين،

أما جماعة الإخوان المسلمين فهى جماعة سياسية فى الأساس.

وأصل إلى السبب الثانى فى إختيارى لهذا النص المهم فأقول أنه المنهج الجاد للمؤلف «مصطفى بيومى» منهج يعتمد الأسلوب العلمى ويستند إلى أسس التحليل الدقيقة التى لا تغفل أى جانب من جوانب الموضوع وحرصه على الموضوعية والحياد وهما فى رأيى يمثلان أهم عناصر المصداقية التى ترفع من قيمة أى عمل فكرى.

يتوقف الكاتب أمام رؤى وأفكار الإخوان المسلمين كما يفهمها ويجسدها «نجيب محفوظ» من خلال عدة محاور منها: الإخوان والدين.. الفكر السياسى للإخوان.. الإخوان والمرأة.. الإخوان والوفد.. الإخوان والصدام مع ثورة يوليو.. الإخوان والسادات والتيارات الدينية الجديدة.. الإخوان والشيوعيون.

ويرى أن الفكر السياسى للإخوان ـ كما تجسده روايات «نجيب محفوظ» ـ هو فكر يتسم بالميل إلى التعميم والحرص على الغموض والإبتعاد عن الوضوح والتحديد. فهم سياسيون يرفعون الشعارات الدينية. ودينيون يعملون فى السياسة.

ويمثل الكتاب رصداً دقيقاً لرؤية «نجيب محفوظ» للشخصية الإخوانية عبر مراحل تاريخية مختلفة. كما يكشف أنه فى روايته الأولى «القاهرة الجديدة» استشرف ظهور تلك الجماعة - وكان ذلك قبل تأسيس جماعة الإخوان من خلال الأفكار والشعارات التى جاءت على لسان ممثل الإتجاه الإسلامى فى الرواية «مأمون رضوان» وهذا يؤكد حقيقة أخرى هى أن الأدب والفن كثيراً ما تسبق رؤيته حسابات السياسة والإقتصاد والعلم. فيرى الكاتب ما سوف يحدث فى الأفق قبل أن يصبح واقعاً وحقيقة.

إنه كتاب يقرأ أكثر من مرة.. وعلى أكثر من مستوى فهو يعالج عدة قضايا مشتبكة مؤثرة. ذات أبعاد عميقة فى التأثير على الوعى والفهم الحقيقى لكل ما يدور حولنا من محاولات الخلط.. التعميم.. والتقييم!

أترككم الآن مع مصطفى بيومى وكتابه الشائق.. المهم!!

نوال مصطفى

المقدمة

لاشك أن جماعة الإخوان المسلمين، التى أسسها الشيخ حسن البنا سنة ١٩٢٨ فى مدينة الإسماعيلية، من أهم القوى السياسية فى مصر، وهى الأهم على الإطلاق عند الحديث عن تيارات الإسلام السياسى.

فى المكتبة العربية مئات من الكتب والدراسات التى تتوقف أمام حاضر الجماعة وتاريخها، من منطلقات متباينة، مؤيدة ومعارضة ومحايدة، لكن انعكاس الوجود الإخوانى فى الأدب المصرى، سياسيا واجتماعيا وثقافيا وإنسانيا، لا يحظى باهتمام مماثل. من هنا تأتى دراستنا هذه، حلقة أولى فى سلسلة قراءات تعنى بتحليل الموقع الذى يحتله الإخوان المسلمون فى خريطة الإبداع الروائى والقصصى فى مصر.

ومن الضرورى أن نشير إلى أهمية التمييز الصارم بين الإسلام، الدين الذى تؤمن به وتنتمى إليه الغالبية العظمى من أبناء الشعب المصرى، والتنظيم الإسلامى الكبير، ذلك أن الخلط بين الإسلام والجماعة، والتعامل معهما كأنهما كيان واحد، يفضى إلى ارتباك غير محمود العواقب. لا يحق لأعداء الإخوان وخصومهم أن يتهموا الجماعة فى دينها ووطنيتها بطبيعة الحال، ولا يحق للإخوان فى المقابل أن يحتكروا الإسلام ويجعلوا من أنفسهم أوصياء عليه ومتحدثين باسمه ومدافعين عنه دون غيرهم من القوى والاتجاهات السياسية، التى لا ترفع الشعارات الإسلامية، ولا تتنكر فى الوقت نفسه للدين أو تنكر أهمية

وخطورة دوره.

وقد توقف الباحث فى دراسة سابقة عند وفدية نجيب محفوظ، وأشار إلى تأثير انتمائه السياسى على رؤيته التاريخية والفكرية وتقييمه لمنافسى الوفد وخصومه. يتسم إبداع الأديب الكبير بالعداء الشديد لأعداء الوفد، ممثلين فى الملك وأحزاب الأقلية قبل ثورة يوليو، ويجمع بين عدم الحب وعدم الفهم فى التعامل مع القوى غير الوفدية المنتمية للشعب: جماعة الإخوان والتنظيمات الشيوعية.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى ثلاث ملاحظات رئيسة تتعلق بالموقع الذى يحتله الإخوان المسلمون فى عالم نجيب محفوظ.

اولا: إن جذور شعارات وأفكار الإخوان نجدها عند ممثل الاتجاه الإسلامى فى الرواية الأولى لنجيب: مأمون رضوان فى رواية «القاهرة الجديدة»، والمرحلة التاريخية للرواية سابقة لانتشار وازدهار جماعة الإخوان. وعبر مباحث الدراسة، يتم التعامل مع شخصية مأمون على اعتبار أنه يمثل البدايات الأولى للحركة الدينية السياسية.

ثانيا: لا يمكن تفسير الوجود المحدود للشخصية الإخوانية فى عالم نجيب محفوظ، مقارنة بالوفديين والشيوعيين. إلا فى إطار الوعى بالظروف التاريخية التى حالت دون ظهور شخصية إخوانية حقيقية، تخضع للمقاييس الفنية والإنسانية معا، فى ظل الصدام الدموى بين الإخوان وثورة يوليو. وعندما تغيرت الخريطة السياسية، وتصالح الإخوان مع السادات، ظهر محمد حامد برهان فى رواية «الباقى من الزمن ساعة»،موظفا للهجوم على عبدالناصر وحقبته!.

ثالثا: انعكاس رؤية نجيب الوفدية على أبطاله الأثيرين ومواقفهم السلبية من الإخوان. وهو ما يعبر في النهاية عن التصور الوفدى الذى لا يقبل شريكا أو مزاحما فى قيادة الحركة الوطنية المصرية.

ومن الناحية الفكرية. فإن الوفديين الأصلاء. ومنهم نجيب. يضيقون بتعصب الإخوان وتزمتهم ورفضهم للديمقراطية والتعددية وحرية الاختلاف.

تنقسم الدراسة إلى فصلين: الأول عن «أفكار ورؤى الإخوان»، والثانى عن «الإخوان والقوى السياسية».

يتضمن الفصل الأول ثلاثة مباحث:

- الإخوان والدين
- الفكر السياسى للإخوان
- الإخوان والمرأة

أما الفصل الثانى، فيقع فى أربعة مباحث :

- الإخوان والوفد
- الإخوان وثورة يوليو
- الإخوان والسادات والتيارات الدينية الجديدة
- الإخوان والشيوعيون

تتوقف مباحث الفصل الأول أمام رؤى وأفكار الإخوان المسلمين كما يفهمها ويجسدها نجيب محفوظ، ويناقش الفصل عددا من القضايا والمحاور المهمة.

أ- التأثير الكبير للدين فى نفوس المنتمين إلى حركة الإخوان،

فالإيمان القوى بالإسلام هو دافعهم إلى الانخراط فى صفوف الجماعة، على اعتبار أنها الاتجاه القادر على الانتصار للإسلام وفرض مبادئه وأفكاره، لكن الدين ليس عنصرا وحيدا فى تشكيل الشخصيةالإخوانية، فالمجتمع بتقاليده وثقافته ذو تأثير لايمكن إهماله. والعلاقة الوثيقة بين الإخوان والدين هى التى تقودهم إلى الارتماء فى حضن الدولة الدينية الخارجية، وتبررارتباطهم بالمملكة العربية السعودية، الملجأ والملاذ من الاضطهاد، والنموذج والقدوة والمثل الأعلى!

ب- يتسم الفكر السياسى للإخوان بالميل إلى التعميم والحرص على الغموض والابتعاد عن الوضوح والتحديد، فهم سياسيون يرفعون الشعارات الدينية، ودينيون يعملون فى السياسة، وفى هذا السياق، يتجلى تمسكهم الدائم بتجنب طرح برنامج تفصيلى ذى نقاط واضحة، ويتشبثون دائما بخصوصية غير منطقية وعاجزة عن الاقناع: الحديث السياسى المترفع كأنهم من رجال الدين، والخطاب الدينى المختلف كأنهم يحتكرون الإسلام!

جـ- الموقف الإخوانى من المرأة يكشف عن رؤية تقليدية محافظة من الناحية النظرية، لكن تيار الحياة المتدفق ينتصر ويفرض على الإخوان المسايرة العملية للواقع. وفضلاعن ذلك، يكشف نجيب عن تغلغل المؤثر الاجتماعى فى الموقف من المرأة، فالإخوان خاضعون له ومتأثرون به وعاجزون عن الإفلات من القبضة القوية منقطعة الصلة بالدين.

يتوقف الفصل الثانى أمام علاقة القوى السياسية المختلفة بجماعة الإخوان: الوفد، ثورة يوليو فى مرحلتها الناصرية،

السادات والتيارات الدينية الجديدة، الشيوعيون.

اختلاف الإخوان مع الوفد لايحول دون حقيقة أن الغالبية من الرعيل الأول للإخوان كانوا وفديين، أو متعاطفين مع الحزب الشعبى الكبير. ولقد تعرض الإخوان للاضطهاد والمطاردة فى العهود غير الوفدية، لكنهم تحالفوا دائما مع كل مضطهديهم ضد الوفد. الإخوان لا يقنعون بالوفد فى عالم نجيب محفوظ، والوفديون يضيقون بالإخوان وتعصبهم.

الصدام بين الإخوان وثورة يوليو لا ينفى ترحيب الحركة المبكر بالثورة، فقد توهم الكثيرون من الإخوان أن ثورة يوليو ذات توجه إخوانى، وسرعان ما وقع الصدام فانقلبوا عليها وشنوا حملات ضارية لا تتورع عن تعمد الخلط بين الدينى والسياسى فى التعامل مع الثورة وزعيمها.

وقد تحالف الإخوان مع السادات وأيدوه، وساعدوه فى محاربة الخصوم المشتركين: العهد الناصرى والقوى اليسارية، ثم دب الخلاف بين الحليفين فانهالت الاتهامات السياسية والدينية، وانتهى التحالف الذى أسفر عن ظهور تيارات دينية جديدة، أكثر تطرفا وتعصبا من الإخوان أنفسهم، وهى التيارات التى قتل السادات نفسه برصاصها!.

يتفق الإخوان والشيوعيون فى الانتماء إلى تيار الرفض العام لواقع الحياة السياسية المصرية، قبل ثورة يوليو وبعدها، لكنهما يختلفان جذريا فى الاجتهادات والرؤى السياسية والاجتماعية. الاتهامات المتبادلة قاسية: الكفر والإلحاد أهم أسلحة الإخوان فى الهجوم على الشيوعيين، والرجعية والازدواجية والسلوك الانتهازى من المفردات الشائعة التى يكررها الشيوعيون فى

حملاتهم ضد الإخوان.

يقدم نجيب محفوظ شهادة شاملة عميقة عن الموقع الذى يحتله الإخوان المسلمون فى الحياة المصرية، وغاية ما يأمله الباحث أن يكون قد وفق فى رصد وتحليل رؤية الكاتب الكبير للجماعة السياسية الدينية بالغة الأهمية فى خريطة الواقع السياسى.

الاجتهاد الذى نقدمه فى الصفحات التالية مقدمة لقراءات أخرى، تتوقف أمام عدد من أهم كتاب الأدب المصرى الحديث، ومحاولة لتقديم معالجة مختلفة للتواصل مع النص الأدبى والحياة التى تفرزه.

المنيا: ٢٠٠٤/١٢/٢٥ — مصطفى بيومى

الفصل

1

أفكار ورؤى الإخوان..

- الإخوان والدين
- الفكر السياسى للإخوان
- الإخوان والمرأة

الإخوان والدين:

من المنطقى أن يحظى الدين، فكرا وانعكاسا سلوكيا، بمكانة بالغة الأهمية فى حيوات الإخوان المسلمين، ذلك أن خطابهم الفكرى وبرنامجهم السياسى ينطلق فى ظاهره من الإسلام وينتهى اليه. وإذا كانت العقيدة الدينية هى جوهر الفكرة الإخوانية على المستوى السياسى، فإنها تلعب -أيضا- دورا بارزا فى تشكيل الثقافة وتحديد السلوك فى الحياة اليومية.

الدين هو العنصر الأكثر أهمية وبروزا فى ملامح شخصية الطالب الجامعى ذى الاتجاه الإسلامى مأمون رضوان: كان ذا عفة واستقامة وطهر لم يجتمع مثلها لشاب. كان ضميرا نقيا، وسريرة صافية، كان قلبا مخلصا ينشد الدين الحق والإيمان الراسخ والخلق القويم. «القاهرة -١٢».

لعبت النشأة الأسرية فى بيت أزهرى دورا لاشك فيه فى بلورة شخصية مأمون، لكن الشاب الجامعى كان ذا استعداد ذاتى للتمسك بما نشأ عليه، فلم يتأثر بالتيارات الصاخبة من حوله، ولم يهتز فى مواجهة أفكار الإلحاد وفلسفات الشك والنظريات العلمية الحديثة. حافظ على موروثه الدينى الراسخ، ولم يجد فيه تعارضا مع التفوق العلمى والدراسى: وكان فى قدرته أن يتعبد ساعات

متتابعات لايسكت لسانه عن ذكر الله، وكان يذاكر فى الأيام الأخيرة من العام الدراسى عشرين ساعة فى اليوم. «نفسه- ١٢».

طاقة هائلة مستثمرة فى العبادة والدراسة، والدين عند مأمون هو المعيار الوحيد الذى يحكم به على نفسه وعلى الآخرين، عقيدته الدينية منزهة عن الشوائب والخرافات، ولا تدفعه إلى حياة الزهد والتقشف ومخاصمة الواقع الذى يتسع لمن يختلفون معه ويبشرون برؤى مغايرة لرؤيته. المشكلة الحقيقية التى تواجهه أنه محافظ أقرب إلى الانطوائية. ولا يخلو من الميل الواضح إلى التعصب والحدة، ويفتقد روح الفكاهة وأصول اللياقة الاجتماعية. لم يكن محبوبا من أقرانه وزملائه فى الجامعة، فهم يأخذون عليه صرامته وجديته المفرطة، ويسخرون من صراحته القاسية المنفرة: فسماه منتقدوه تارة بالجامعى الريفى، وتارة بالمهدى غير المنتظر. وقال عنه طالب مرة: «الأستاذ مأمون رضوان إمام الإسلام فى عصرنا هذا. وقديما أدخل عمرو بن العاص الإسلام فى مصر بدهائه وغدا يخرجه منها مأمون رضوان بثقل دمه». «نفسه- ١٢»

غياب الشعبية ليس مرادفا للتدين أو نتيجة له، والأمر استثنائى يتعلق بشخصية مأمون وأمثاله من المتشددين المتعنتين المبالغين فى تدينهم إلى درجة التطرف والتجهم، ومثل هذاالتزمت هو ما يرشحهم للانخراط فى صفوف تيارات العمل السياسى الدينى، وهوالمجال الذى يتوافق مع الإيمان الراسخ الذى يعلن عنه الشاب فى وضوح: وقد آمن إيمانا راسخا بثلاثة أشياء لم ينكرها بعد ذلك طوال حياته: الله، الفضيلة، قضية الإسلام. «نفسه-١٤»

الإيمان بقضية الإسلام يعنى العمل من أجل خدمة الدين والارتقاء بشأنه وتنفيذ أحكامه، وقد يتجسد هذاالعمل فى إطار دينى اجتماعى محدود، يتمثل فى حملته الانتقادية ضد التقليديين والجهلاء من رجال الدين: وكان مأمون ينتقد خطبة الجمعة التى

استمع إليها ظهرا، وجعل يقول إن خطب الجمعة فى حاجة ماسة إلى التجديد، وأنها بحالتها الراهنة دعوة صريحة للجهل والخرافة. «نفسه-٤٤»

لكن الإصلاح الشامل المنشود لايتوقف بطبيعة الحال عند وعاظ المساجد، فلابد من عمل سياسى أكثر شمولا وقدرة على التأثير. وإذا كانت «القاهرة الجديدة» لا تتيح فرصة لنرى تطور مأمون بعد عودته من البعثة، وانتقاله المتوقع من الأفكار النظرية إلى الممارسة العملية، وإذا كان الإطار الزمنى لها يتوافق مع البدايات الأولى لجماعة الإخوان المسلمين فى الإسماعيلية قبل أن ينتقل نشاطها ومرشدها الشيخ حسن البنا إلى القاهرة، فإن أعمالا أخرى لنجيب محفوظ تقدم شخصيات إخوانية تعمل فى السياسة، تحت راية الجماعة، من منطلق العقيدة الدينية.

بدأ عبدالوهاب إسماعيل حياته وفديا، ثم انشق على الوفد مع أحمد ماهر لينضم إلى السعديين، وانتهى به المطاف مفكرا بارزا وقياديا مرموقا فى الإخوان المسلمين. قبل انضمامه إلى الجماعة، كان عبدالوهاب متدينا لايخفى تعصبه وكراهيته لغير المسلمين: وبالرغم من أنْ عبدالوهاب إسماعيل لم يكن يتكلم فى الدين، وبالرغم من تظاهره بالعصرية فى أفكاره وملبسه وأخذه بالأساليب الإفرنجية فى الطعام وارتياد دورالسينما، إلا أن تأثره بالدين وإيمانه بل وتعصبه لم تخف علىَّ. «المرايا - ٢٠٤، ٢٠٥»

التعصب الدينى هو ما قاده إلى الإخوان، والإخوان بدورهم أضفوا عليه مزيدا من التعصب. ويبالغ عبدالوهاب فى تطرفه إلى الدرجة التى يقف فيها على يمين الإخوان، ويهيىء بأفكاره لظهور جماعات دينية أكثر حدة وعنفا.

ويلعب الدين دورا خطيرا فى حياة عبدالمنعم شوكت، قبل أن ينضم إلى الإخوان وبعد انخراطه فى صفوفهم. تتجلى ميوله

الدينية مبكرا، ففى زيارته لمكتبة خاله كمال عبدالجواد، مع شقيقه أحمد وابن خاله رضوان ياسين، ينتقى من الكتب المتاحة ما ينم عن توجهه الدينى: ثم اختار عبدالمنعم كتاب محاضرات فى تاريخ الإسلام. «السكرية -٣٧»

مكتبة كمال ليست دينية بطبيعة الحال، والكتاب المختار هو الأقرب إلى ما يراوده عبدالمنعم من ثقافة قوامها الدين، فهو يتمتم أثناء تصفحه الكتاب:

- لا احد يعرف الإسلام على حقيقته.

ويعلق أحمد ساخطا:

- أخى يتلقى حقيقة الإسلام على يد رجل شبه عامى فى خان الخليلى. «نفسه-٣٧»

الرجل شبه العامى هو من يرتقى بعبدالمنعم من الثقافة الدينية إلى العمل السياسى الدينى، فالشاب المتحمس المخلص فى حاجة إلى من يقوده ويرشده، ويراود المعرفة الدينية التى تجيب عن أسئلة كثيرة مجهولة تحتاج إلى إجابات، وتنير له الطريق ليتوافق سلوكه مع إيمانه.

لا يتورع عبدالمنعم عن اتهام أخيه والتشكيك فى صدق إيمانه الدينى، ويرفض أن يكون المفرطون فى إسلامهم نموذجا يُحتذى ويُقتدى به لتبرير الانحراف وغياب الالتزام: لو كان الناس جميعا مهملين فى دينهم، فهل يشفع لك ذلك؟ «نفسه-٩٣»

المشاعر الدينية الفياضة لعبدالمنعم تنعكس على طبيعة أفكاره ومواقفه قبل أن ينضم إلى الإخوان المسلمين، فقد كان متعاطفا مع الوفد عند موت الملك أحمد فؤاد، وعداؤه السياسى للملك الراحل لاينفى تأثره بفكرة الموت من منطلقات دينية تزيح العداء السياسى ولا تجعله فى الصدارة عند مشاهدة الجنازة: لم أكن أحبه، هذا ما اعتقناه جميعا فأنا لم أحزن، ولكننى لم أسر كذلك، تابعت النعش

بعين من لا قلب له، لا له ولا عليه. غير أن الجنازة أثرت فىّ، لا يمكن أن يمر منظر كهذا دون أن يؤثر فىّ، لله الملك جميعا، هو الحى الباقى فليت الناس يعلمون. «نفسه-٩٥»

ليست هذه باللغة السياسية الصافية. فهو يتعامل مع الملك الجبار الذى يبرهن موته على محدودية الإنسان وقلة حيلته وانسحاقه أمام القانون الأعظم الذى يحكم الوجود ويتحكم فى الأحياء جميعا. الدين قبل السياسة، والعقيدة الإيمانية قبل الأفكار السياسية. يقدم عبدالمنعم دفاعا حماسيا عاطفيا عن فكرة الإيمان بالله، فى مواجهة تهكم أخيه وسخريته من الدين ومجاهرته بالإلحاد: الإلحاد سهل، حل سهل هروبى، هروبى من الواجبات التى يلتزمها المؤمن حيال ربه ونفسه والناس، وليس من برهان على الإلحاد يمكن أن يعد أقوى من البرهان على الإيمان، فنحن لا نختار هذا أو ذاك بعقولنا بقدر ما نختاره بأخلاقنا.. «نفسه -١٦١»

الدين محور حياة عبدالمنعم، والإيمان ليس قرارا عقليا علميا أو اختيارا منطقيا محسوبا، فالملايين من البشر يؤمنون دون نظر إلى العقل أو اعتماد عليه. من منطلق الإيمان الدينى القوى يدلف عبدالمنعم إلى عالم السياسة. وهى سياسة وثيقة الصلة بالدين، فالإخوان المسلمون يتسمون بالجمع بينهما، ويطرحون الإسلام من منطلق أنه الخلاص الوحيد والسبيل إلى الإصلاح الاجتماعى والسياسى.

يعلى الإسلام من شأن العمل الشريف الجاد، ولايعرف التمييز بين الناس على ضوءأصولهم الطبقية وأحسابهم وأنسابهم، لكن التقاليد الاجتماعية تتخذ مسارا آخر، ولاينجو عبدالمنعم من التمزق بين القيم الاجتماعية التى نشأ فى ظل سطوتها، والمبادىء الدينية التى يؤمن بها ويخلص لها. فؤاد جميل الحمزاوى وكيل نيابة شاب، ذو حاضر مشرق محترم ومستقبل مأمول مرموق، فهل يصلح زوجا لنعيمة، حفيدة السيد أحمد عبدالجواد وسليلة آل

شوكت؟! إجابة الدين عن السؤال تختلف كثيرا عن الاجابة الاجتماعية الطبقية، وكم يبدو مرهقا أن يسعى الشاب المسلم إلى الجميع بين الإجابتين والتوفيق المستحيل بينهما.

يتساءل ابراهيم شوكت:

- أظن أهله من السوقة؟!

فقال عبدالمنعم شوكت بصوته القوى:

- نعم، خاله مكارى، وخاله الآخر فران، وعمه كاتب محام «ثم بلهجة استدراكية ضعيفة» ولكن هذا كله لاينقص من قدر الإنسان فالإنسان بنفسه لا بأهله!

وأدرك كمال أن ابن أخته يريد أن يقرر حقيقتين يؤمن بهما على تنافرهما، أولا وضاعة أصل فؤاد وثانيا أن وضاعة الأصل لا تنقص من قدر الشخص. بل أدرك أكثر من هذا أنه يحمل فى الأولى على فؤاد وأنه يكفر فى الثانية عن حملته الظالمة مرضاة لعقيدته الدينية القوية. «نفسه-٣٢»

لاينفرد الدين وحده بالتأثير، فالشاب المخلص ابن لطبقته وقيمها مثلما هو مدين للدين بمبادئه وأفكاره والمرتكزات الفاعلة فى حياته اليومية.

ولقد بدأ محمد حامد برهان حياته وفديا متديناً، وعندما بدأ تردده على مقرجماعة الإخوان المسلمين فى حلوان، ظهرت رؤية جديدة للدين: ولم يطرأ عليه فى تلك الفترة من تغيير إلا أنه أضاف إلى مجال اطلاعه بعض الكتب الدينية. «الباقى -١٣»

الإيمان الدينى قائم قبل الانتماء إلى جماعة الإخوان، والجديد هو زيادة جرعة الثقافة الدينية. وبعد الاضطهاد الذى تعرض له الإخوان من حكومة السعديين برئاسة إبراهيم عبدالهادى، وتراجع النشاط السياسى والعمل التنظيمى، يزداد المؤثر الدينى وضوحا: لم تعد توجد شعب إخوانية ولكن الدين أصبح على رأس مطالعاته،

واكتسب عنه رؤية جديدة مختلفة عن دين أسرته المتسم بالسماحة والبساطة. «نفسه -٣٦»

رؤية دينية بعيدة عن السماحة والبساطة، فهى- بالضرورة- أقرب إلى التشدد والتعنت. الحركة السياسية لاتنفصل عن العقيدة الدينية، وبعد ثورة يوليو يتطلع محمد إلى تحقيق الحلم الذى طال انتظاره، وهو حلم يجمع بين الطموحين السياسى-الدينى والشخصى- الذاتى:

وكاد محمد أن يجزع وهو ينتظر أن تسفر الثورة عن وجهها فتعلن حكم الإسلام ليحتل هو مكانته المشروعة. ولم يكن طموحه شخصيا فقط فقد ملكته التجربة الدينية التى انساق إليها قديما هاويا وبمحض المصادفة، فبات يحلم بحكم الإسلام كأنه غاية الغايات.«نفسه -٤٩»

الأفكار الدينية لمحمد، وللإخوان المسلمين بشكل عام، تختلف عن الاتجاه الشعبى الأكثر بساطة والأقرب إلى التسامح والمرونة والمودة. أخته منيرة تؤدى فريضة الحج، وتعود محتفظة بناصريتها وسلوكها الدينى المختلف عن شقيقها: منتمية إلى أسلوب أمها فى التدين لا أسلوب محمد، محافظة فى الوقت نفسه على ناصريتها. «نفسه -٩٤»

ويحتذى على بأمه فى التوجه الدينى المعتدل: شاركها فى الاهتمام بدينه متبعا بأسلوبها متحاشيا أسلوب خاله محمد. «نفسه -١٠٥»

الإخوان لا يحتكرون الدين ولا ينفردون بالتدين، والمشكلة أنهم يخلطون بين السياسة التى يتبعونها ولا تخص غيرهم، وبين الدين الذى يتمسك به خصومهم السياسيون والمعارضون لتوجهاتهم. بعد مبادرة السادات وزيارته للقدس، تسأل سنية ابنها محمد عن رأى حفيدها شفيق، فيجيب بلا تردد:

- إنه مسلم مثلى تماما.

وترد الأم التى تؤيد السادات فى سياسته:

- إنى مسلمة قبلك بربع قرن. «نفسه -١٨٠»

التحفظ على مبادرة السادات موقف «سياسى»، لكن الإخوانى العنيد يأبى إلا أن يجعل من معارضتها فريضة إسلامية!.

ومثلما هو الحال بالنسبة لعبدالمنعم شوكت، يتصارع الدينى والاجتماعى فى أعماق محمد. ابنه شفيق إخوانى مثله، وفى حياته قصة حب بعيدة عن النقاء الذى يتطلبه الإيمان الكامل وما يفرضه من عفة واستقامة. التوبة تجب ما سبقها من المعاصى فى المفهوم الدينى الصحيح النقى، لكن المجتمع أقل تسامحا ولا يميل إلى الغفران والنسيان السريع. توبة الحبيبين بداية لحياة جديدة عند شفيق، أما الأب فلا يتحمس للزواج، والضمانات المستحيلة التى يطلبها تعبر عن قيم اجتماعية راسخة فى أعماقه، ولا علاقة لها بالدين:

- اختيار سىء لن يعفى من عواقب وخيمة!

- ظننته ينقذ نفسين ضالتين..

- لاضمان لذلك.. «نفسه -١٥٤»

هل من ضمان يطلبه الدين؟!

بالعقيدة الدينية القوية يتوافق محمد مع حياته المليئة بالإحباطات والهزائم والخسائر الفادحة، وذروة التعبير عن إيمانه الراسخ نجدها فى ثنايا النصيحة التى يواسى بها ابنته بعد مقتل صديقها الماركسى عزيزصفوت: كنت يوما مثلك سعيدا بآمال لاتحصى، وفى بضع ساعات تقوض عالمى ففقدت عينا وساقا ونصف رزقى على الاقل، ولكننى لم أنهزم ولا ماتت ثقتى بالله، ومن يعتز بالإيمان لا يُذل بالهوان. «نفسه- ١٣٥»

لاهوان مع الإيمان، ولا يأس من الحياة فى ظل الثقة بالله، ولا

استسلام للإحباط ومشاعر الضياع طالما أن الأمل معقود على ما تمنحه العقيدة من صفاء وسلام. لاشك فى إخلاص محمد على المستوى الشخصى الفردى، وها هو يبدى سرورا لامزيد عليه عندما يتجه ابن أخته القعيد، أحد أبطال وضحايا حرب أكتوبر، إلى القراءة الدينية ومراودة الكتابة: وراح يحدثه عن شغفه الجديد بالثقافة وفى مقدمتها الدين، فسر محمد ورفع عكازته بيمناه قائلا:

- طوبى لما يهبنا خصوبة الروح..

فقال رشاد:

-ويخطر لى أحيانا أن أكتب.

فهتف محمد:

- الله أكبر!. «نفسه -١٤٤»

وإذا كان رشاد يراود حلم الكتابة الدينية بعيدا عن الانتماء الصريح لفكر الإخوان المسلمين، فإن صفوف الإخوان تضم بالضرورة مجموعة من المفكرين والكتاب الذين يعبرون عن التوجه الدينى للجماعة.

عبدالوهاب إسماعيل يكتب كتبا عصرية عن الدين الإسلامى: لاقت نجاحا منعدم النظير. «المرايا -٢٠٦»

وقد انضم عبدالوهاب إلى الإخوان، وأصبح واحدا من أهم قادة ومفكرى الجماعة.

ويخرج سليم حسين قابيل من السجن قبل عام واحد من هزيمة ٦٧: لم تنقطع صلاته بالزملاء ولكنها مضت فى تكتم شديد وحذر، ووجد متنفسا فى الكتابة فوهب لها سنوات من عمره تمخضت عن ثمرة جيدة فى كتاب «العصر الذهبى للإسلام» ثم أتبعه بكتاب «أهل العزم والتقوى». وفى الوقت نفسه أحرز نجاحا لا بأس به كمحام، وتحسنت أحواله المالية من رواج كتابيه خاصة بعد أن

ابتاعت السعودية منهما كمية موفورة. «حديث - ١١١»

سليم ليس مستهلكا للثقافة وقارئا للتراث الديني فحسب، بل إنه أيضا مفكر منتج يعبر عن المفاهيم الدينية التي يؤمن بها، ويوشك عمله الإبداعي في الثقافة الإسلامية أن يكون مهمته الرئيسية في التنظيم الإسلامي المحاصر نشاطه في الحقبة الناصرية. والجدير بالتأمل أن العائد المادي المترتب على رواج كتبه لا يرتبط بالسوق المصرية، فالمملكة العربية السعودية هي التي تقف وراء الإخوان وتؤيدهم وتدعمهم. الدين نشاط فردي حيوي يتسم به أعضاء الجماعة، والدين هو المصدر الأساسي لفكرهم، والدولة التي ترفع الشعارات الدينية وتكتسب منها الشرعية هي المأوى والملاذ.

الدين يقودهم إلى حضن الدولة الدينية، ولا يقتصر الأمر على سليم وحده. في رواية «قشتمر» يتعرض صبري صادق صفوان للاعتقال بعد الصدام مع عبدالناصر، وبعد الإفراج عنه يغادر مصر بلا عودة : وفي اللحظة المناسبة هرب إلى السعودية والتحق بعمل مناسب في شركة مقاولات. وقد شق الفراق على صادق وإحسان، ولكنه تعزى بأن ابنه وجد في السعودية مستقرا وعملا وأمنا بعيدا عن مصر التي أصبح يحكمها - في اعتقاده - قانون الغاب. «قشتمر-١٠٧»

مصر محكومة بقانون الغاب الناصري، والسعودية محكومة بالشعارات الإسلامية التي يجد فيها الإخواني الشاب ما يفتقده من أمان، ويعثر على العمل الذي يعز وجوده في مصر!.

وفي قصة «أسعد الله مساءك» تتكرر الواقعة نفسها، فقد أنجب الوفدي على يوسف ولدين نابهين ا ندفعا في النشاط السياسي تحت مظلة الإخوان: واضطرا إلى الهجرة إلى السعودية فتزوجا وأقاما هناك بصفة نهائية. «صباح-١٢٨»

السعودية هي الوطن البديل للإخوان الهاربين من مصر الناصرية، والمملكة بمثابة النموذج المحتذى للدولة الإسلامية المنشودة!.

فى هذا السياق يمكننا أن نفهم السر فى تحامل محمد حامد برهان على حرب اليمن، ومعارضته الدائمة للتدخل العسكرى المصرى. إنه لايشير بشكل مباشر إلى السعودية، لكنه يعلق متهكما على اشتراك الجيش المصرى فى الحرب: كأنه قرار إسرائيلى. «الباقى-٦٤»

لم يكن التدخل السعودى فى اليمن دفاعا عن الإسلام والمسلمين بطبيعة الحال، فحكم الإمام الرجعى بعيد كل البعد عن الدين الصحيح، فضلا عن مفارقته لروح العصر، فهو تدخل سياسى لايجد بأسا فى استثمار الشعارات الدينية. وفى قصة «ثلاثة أيام فى اليمن»، يصرخ فى جنود الإمام فى وجوه المقاتلين المصريين: ياكفرة يافجرة ياعبدة الشيوعية. «تحت -١٠٣»

تختلط الأوراق عمدا، ويتداخل الدينى مع السياسى، والفكر السياسى للإخوان المسلمين ليس إلا تجسيدا للاختلاط والتداخل.

الفكر السياسى للإخوان

الملمح الأكثر أهمية فى فكر الإخوان المسلمين هو اتساعه للمسلمين جميعا دون تمييز، ذلك أن الجماعة لا ترفع إلا الشعارات الإسلامية، وتعتقد أنها الأكثر حرصا على الدين، والأقدر على تطبيق مبادئه وشرائعه.

يتساءل الراوى عند مقابلته لعبدالوهاب إسماعيل:

- بلغنى أنك انضممت إلى الإخوان المسلمين؟

فيبتسم ابتسامة غامضة، ويقول:

- أى مسلم عرضة لذلك!. «المرايا ٧-٢»

مقولة مراوغة ساخرة بقدر ما هى صحيحة دقيقة، فما الذى يحول دون المسلم، أى وكل مسلم، والانضمام إلى صفوف جماعة الإخوان؟!.

ليس فى الأفكار السياسية للإخوان ما يثير تحفظا صريحا أو اعتراضا مباشرا عند العاديين من المسلمين، فالفكر المعلن يميل إلى التعميم الذى لايفصح عن برنامج محدد، ومن الصعوبة بمكان أن يجد المسلم فى مقولاتهم ما ينفره ويصده، وفى الوقت نفسه لن يجد فيها وضوحا وتماسكا.

فى مناقشة طلابية عابرة، يتساءل الطالب الجامعى الوفدى أحمد بدير، كأنه يجرى تحقيقا صحفيا:

– ماذا يحتاج جيلنا من مبادىء؟

ويجيب زميله الإسلامى مأمون رضوان:

– الله فى السماء، والإسلام على الأرض، هاكم مبادىء.. «القاهرة–١٠»

ملايين المسلمين، فى مصر وغيرها من أمصار العالم الإسلامى، يؤمنون بالله فى السماء والإسلام على الأرض، فهل يعدهم مأمون من أنصاره وأتباع المبدأ العام الفضفاض الذى ينتمى إليه ويبشر به؟!.

فى موضع آخر، يتساءل محجوب عبدالدائم عن العلاج الناجح لأزمة الواقع المصرى متعددة الوجوه، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، فيجيب مأمون فى بساطة: الدين، الإسلام بلسم لجميع آلامنا. «نفسه –٤٥»

كيف يكون الإسلام بلسما؟، وما تفاصيل العلاج الذى يقبل التطبيق العملى وينجح فى الارتقاع بمستوى معيشة الإنسان المصرى المسكون بالفقر والجهل والمرض؟!. هذا ما لايتطرق إليه مأمون!.

بعد ثلث قرن من مقولات مأمون الفضفاضة غير المحددة، يعود عبدالوهاب إسماعيل ليقدم علاجا مماثلا يتمثل فى شعار عام بلا تفاصيل: يجب أن يحل القرآن مكان جميع القوانين المستوردة. «المرايا–٢٠٨»

كيف يحل القرآن مكان المستورد من القوانين العصرية غير الإسلامية؟، وكيف تستنبط منه القوانين البديلة التى تنظم الحياة على أسس إسلامية؟، ومن الذى يتولى المهمة الشاقة؟، وما الدليل اليقينى على أنه يعبر عن الفهم النهائى الصحيح الذى لا يقبل الجدل؟!.

الشعارات الموجزة لمأمون رضوان وعبدالوهاب إسماعيل لا تقدم برنامجا محددا، وعندما يسهب الشيخ على المنوفى فى شرح مبادىء الإخوان وأفكار مرشدهم العام، فإنه لا يقدم بدوره تصورا متكاملا. يقول الشيخ لمريديه من الشباب: نحن جنود الله، ننشر نوره ونحارب عدوه، وهبنا أرواحنا له من دون الناس، فما أسعدكم جنود الله.. «السكرية -٩٨»

يمكن استيعاب كلماته الخطابية وقبولها كمقدمة بليغة تمهد للشرح الوافى وطرح البرنامج المحدد، لكنه يسترسل فى الاتجاه نفسه دون أن يضيف جديدا، وتستمر المفردات الإنشائية طاغية على خطابه الذى يثير الحماس العاطفى ولايحرك العقل:

نحن مع الله والله معنا فماذا نخاف؟. مَنْ مِن جنود الأرض يتمتع بقوتكم؟ وأى سلاح أحد من سلاحكم؟. الإنجليز والفرنسيون والألمان والطليان جل اعتمادهم على الحضارة المادية، أما أنتم فاعتمادكم على الإيمان الصادق.إن الإيمان يفل الحديد، الإيمان أقوى قوة فى العالم، املأوا قلوبكم الطاهرة بالإيمان تخلص الدنيا لكم. «نفسه -٩٨ , ٩٩»

كيف نخاصم الحضارة المادية التى نعيش على ثمراتها؟، وهل يمثل الإيمان المطلق بديلا للحضارة الكريهة المرذولة؟، وكيف يُترجم الإيمان إلى خطوات علمية عملية ملموسة و اضحة؟، ومن يتولى مسئولية الترجمة؟!. يركز الشيخ على الكلمات الإنشائية الحماسية ذات الطابع الوعظى الذى يميل إلى الإفراط فى التعميم، ويتطرف فى اختصار العالم إلى ثنائية صارمة: الإيمان فى مواجهة الكفر،

والروحى فى مقابل المادى.

العودة إلى الماضى المجيد المزدهر شعار يطرحه الداعية، وفى طرحه هذا يستمر فى المنهج الذى لا يعرف التحديد، فالغاية عنده أن تكون الكلمات مؤثرة بمعزل عن وضوح مضمونها: يجب أن يُبعث الإسلام كما بُعث أول مرة، نحن مسلمون اسما فيجب أن نكون مسلمين فعلا، لقد من الله علينا بكتابه فتجاهلناه فحقت الذلة علينا، فلنعد إلى الكتاب، هذا هو شعارنا، العودة إلى القرآن، بذلك نادى المرشد فى الإسماعيلية، ومن ساعتها ودعوته تسرى فى الأرواح، غازية القرى والدساكر حتى تملأ القلوب جميعا.. «نفسه -٩٩»

ما الذى ينبغى على المسلمين فعله حتى يكونوا مسلمين فعلا، وتتاح لهم فرصة استعادة أمجاد الماضى؟!. العودة إلى القرآن، الشعار نفسه الذى يردده مأمون رضوان وعبدالوهاب إسماعيل، فى حاجة إلى جلاء وبيان، والخطاب السياسى مطالب بالتوقف أمام واقع ملىء بالأزمات والهموم، وأزماته فى حاجة إلى علاج. ما الذى يفهمه المواطن العادى المأزوم من شعار العودة إلى القرآن؟!. لابد أنه سيطرح سؤالا منطقيا عن كيفية العودة، وإجابة الشيخ المنوفى تزيد الغموض تعقيدا: الدين هو العقيدة والشريعة والسياسة، إن الله أرحم من أن يترك أخطر أمور الإنسانية دون تشريع وتوجيه.. «نفسه-١٠٠»

التطرق الى التفاصيل يعنى ميلاد الانقسام فى الرأى، ويفضى إلى اجتهادات مختلفة تعكس اختلاف المصالح وتباين المواقع الطبقية للمسلمين. يأبى المنهج الإخوانى إلا أن يتشبث بالعموميات ويتجنب ما يثير الخلاف، ودعاة الجماعة أقرب إلى الوعاظ ورجال الدين منهم إلى السياسيين:كان الشيخ شديد الحماسة، وكانت طريقته أن يقرر حقيقة ما، ثم تدور حولها المناقشة ما بين أسئلة من مريديه وأجوبة عليها منه، يقوم أكثرها على الاستشهاد بالقرآن

والحديث. «نفسه-١٠٠»

منهج دينى تعليمى يُستخدم فى غير موضعه، والاعتماد كله على حماس المستمعين، فهم قابلون لتصديق كل ما يُقال وإعادة ترديده، ومنصرفون عن التفكير فى المفردات العديدة التى تضفى على دعوتهم غموضا لاشك فيه.

عندما يتحول عبدالمنعم شوكت من مريد إلى داعية، ويبشر بالأفكار الإخوانية فى الوسط الطلابى، فإنه يقنع بالشعارات العامة نفسها، والفارق الكبير أن جمهوره ليس مطيعا ومسلما بكل ما يُقال: لسنا جمعية للتعليم والتهذيب فحسب، ولكننا نحاول فهم الإسلام كما خلقه الله، دينا ودنيا وشريعة ونظام حكم.. «نفسه- ١٥٦»

الفهم الدينى ليس ابتكارا إخوانيا، فآلاف من علماءالمسلمين، عبر مختلف العصور، قاموا بالرسالة نفسها، والجدير بالاهتمام هو الفهم الجديد الذى تطرحه الجماعة حول الدنيا والشريعة ونظام الحكم. الساحة السياسية المصرية مزدحمة بالأفكار الديمقراطية والفاشية والشيوعية، فإلى أى شىءيدعو الإخوان المسلمون وبماذا يتميزون؟!. المذاهب السياسية المنافسة واضحة المعالم، والخلاف حولها قائم، فكيف يكون الاختلاف مع فكر الإخوان ودعوتهم: سياسيا أم دينيا؟!. الدين قيمة مقدسة لايحتكرها اتجاه بعينه، والبرنامج السياسى للإخوان لا يتجاوز الشعارات الدينية، فهل تتم مناقشة أفكارهم هذه من منطلق دينى أم سياسى؟!.

يؤمن عبدالمنعم بما يقوله المرشد العام للجماعة، الشيخ حسن البنا، عن فكر جماعة الإخوان التى أسسها وتزعمها: دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية، وكان الشيخ على المنوفى يقول:

- تعاليم الإسلام وأحكامه شاملة تنظيم شئون الناس فى الدنيا

والاخـرة، وأن الذين يظنون أن هذه التـعـاليم إنما تتناول الناحيـة الروحيـة أو العـبـادية دون غـيـرهـا من النواحى مـخطئـون فى هذا الظن، فالإسلام عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية ومصحف وسيف.. «نفسه -٢٥١»

كلمات الشيخين، البنا والمنوفى، مبادىء عامة، وكل مبدأ منها فى حاجة إلى شـرح بعيد عن البلاغة اللفظية والسجع، مـا مـعنى أن يكون فكر الإخـوان خليطا من هذا كله؟، مـا البـرنامج السـيـاسى والاقـتـصـادى والاجـتـمـاعى، وبماذا يعـدون الناس إذا وصلوا إلى السلطة وتولوا مقاليد الأمور؟!. يقولون إن التعاليم الإسلامية تنظم كل شىء، لكنهم لا يهتـمـون كـثـيـرا بتفـاصـيل التنظيم وآليـاته، ولا ينشـغلون بـالتـمـيـيـز بين المبـادىء الدينيـة السـامـيـة وبشـرية من يفهمونها وينفذونها، فأى ضمان أن ينجح هؤلاء وحدهم فى التعبير الصحيح عن القيم الإسلامية؟!

الشـعـارات الجذابة الفضفـاضة تسـاعد على الانتشـار السـريع واستقطاب الأنصار والمؤيدين، لكنها لا تصمـد للمناقشة السياسية الجـادة، والإخـوان بدورهم عـمليـون ينتظرون اللحظة المناسـبـة للانقضاض على السلطة.

يقول شـاب من المجتمعين مع الشيخ على المنوفى :

- هذا هـو ديننا، ولكننا جـامـدون لانفـعل شـيـئـا والكفـر يحكمنا بقوانينه وتقاليده ورجاله.

فيقول الشيخ على:

- لابد من الدعـاية والتـبـشـيـر وتكوين الأنصـار المجـاهدين، ثم تجىء مرحلة التنفيذ.

- وإلام تنتظر؟

- لننتظر حتى تنتهى الحرب، إن الحقل مهيأ لدعوتنا، وقد نزع النـاس ثقـتـهـم من الأحـزاب، وعندمـا يهـتف الداعى فى الوقت

المناسب يهب الإخوان وكل مدرع بقرآنه وسلاحه.

عبدالمنعم بصوته القوى العميق:

- فلنوطن النفس على جهاد طويل، إن دعوتنا ليست موجهة إلى مصر وحدها، ولكن إلى كافة المسلمين فى الأرض، ولن يتحقق لها النجاح حتى تجمع مصر والأمم الإسلامية على هذه المبادىء القرآنية، فلن نغمد السلاح حتى نرى القرآن دستورا للمسلمين أجمعين.. «نفسه-٣٥١»

الكفر هو الحاكم، قوانينه وتقاليده ورجاله، والإخوان المسلمون هم البديل المؤمن الذى يعمل دعاته وأنصاره لتمهيد التربة وتهيئة المناخ فى انتظار التنفيذ.. الأحزاب مفلسة، والواقع مهيأ للتغيير، والبرنامج العملى قوامه القرآن والسلاح. ومن ناحية أخرى، فإن الدعوة لا تقنع بالمحلية. فهى رسالة عامة تستهدف المسلمين جميعا. ولابد أن يكون القرآن دستورا حاكما فى مختلف البقاع الإسلامية. الهدف الأسمى هو الوصول إلى السلطة السياسية، والخطورة الحقيقية أن الإخوان ينطلقون من فكرة إدانة الآخرين وتكفيرهم، ومثل هذا المنطلق يفضى موضوعيا إلى نفى المخالفين وإزاحتهم والحيلولة دون مشاركتهم فى الحياة السياسية!.

لا يختلف محمد حامد برهان عن عبدالمنعم، فهو يحلم بحكم الإسلام كأنه غاية الغايات «الباقى-٤٩»

وليس من برنامج يطرحه إلا المقولة العامة البعيدة عن الوضوح: الإسلام هو الدعامة والهدف. «نفسه-٨٠»

وإذ يشن محمد حملة عنيفة ضد عبدالناصر، الذى يخوض حرب الاستنزاف ليدارى عاره، يتساءل ابن أخته رشاد، الضابط فى الجيش:

- هل عندك حل ياخالى؟

فقال محمد:

- ولا حل غيره، اسمه الحل الإسلامى!. «نفسه-١١٨»
ماالحل الإسلامى الذى يعنيه؟!. لاشىء إلا الشعار!.

عندما يتخلى الإخوان المسلمون عن حذرهم وإيثارهم المعهود للغموض، فإنهم يكشفون عن موقف اجتماعى سياسى ثقافى محافظ، لايختلف عما يدعو إليه عتاة ا ليمين غير الدينى، والفارق الوحيد أنهم يضفون على رؤيتهم لمسة إنسانية مثالية مردها الى الدين الذى يرفعون راياته.

مأمون رضوان يرفض الأفكار الاشتراكية التى يدعو لها زميله على طه، ويطرح بديلا اجتماعيا اقتصاديا يعبر عن رؤيته الإسلامية: للإسلام اشتراكيته المعقولة، فيه الزكاة التى تضمن لو طبقت بدقة العدالة الاجتماعية دون جور على الغرائز التى يستمد الإنسان منها العون فى كفاحه، فإذا أردت للدنيا نظاما يهيىء لها الأخوة الحقة والسعادة والعدالة فدونك والإسلام. «القاهرة -٢٣»

هل يتحقق الإصلاح الاجتماعى والاقتصادى من خلال تكافل يعتمد على الزكاة وحدها؟!. وما الذى يعنيه مأمون بالتطبيق «الدقيق» للفريضة الدينية؟!. أيكون الأمرتحت إشراف الدولة، أم يُترك لضمائر الأفراد وورعهم؟!. النظام الإسلامى يهيىء عالما مثاليا من الأخوة والسعادة والعدالة، والمشكلة الوحيدة أن دعاة النظام والمبشرين به لايملكون تقديم الشرح الوافى لماهيته!

ولمحمد حامد برهان رؤية اجتماعية محافظة مماثلة، فهو يرفض أن يكون العهد الناصرى صديقا للفقراء وحدهم دون الأغنياء: خير من ذلك أن يكون عهد الفقراء، والأغنياء على السواء، فالله خالق الجميع ومدبر لكل عملا صالحا يرضاه!. «الباقى -٦٠»

أليس أن التدبير الإلهى يعتمد على إرادة البشر واجتهادهم؟.

محمد حامد يحيل الأمر كله إلى الله، غافلا عن البشر الذين ينفذون ما يفهمونه وفق مصالحهم.

وتصل رجعية الفكر الإخوانى إلى ذروتها عند عبدالوهاب إسماعيل، فهو يرفض الاشتراكية والوطنية والحضارة الأوروبية، لأنها: خبائث علينا أن نجتثها من نفوسنا..

ويحمل على العلم حملة شعواء: نحن مسبوقون فيه وسنظل مسبوقين مهما بذلنا، لارسالة علمية لنا نقدمها للعالم. ولكن لدينا رسالة الإسلام وعبادة الله وحده لا رأس المال ولا المادية الجدلية.. «المرايا -٢٠٨»

أى جدوى فى البحث عن برنامج سياسى وفكرى فى ظل العداء المحموم لكل مفردات الحضارة الإنسانية المعاصرة، وأى إيمان دينى يتضمن مثل هذا التطرف الجاهلى الذى يخاصم العصر ويدعو إلى التقوقع السلبى المميت؟!.

أعداء الإخوان يرصدون ما فى أفكارهم من غموض وزيف، فالضابط حامد عمرو عزيز، المتعاطف مع الوفد، يرى أن الإخوان تجار دين!. «حديث -٦٩»

والماركسيون يتوقفون عند ازدواجيتهم وانتهازيتهم، فسوسن حماد ترى أنهم يصطنعون عملية تزييف هائلة: فهم حيال المثقفين يقدمون الإسلام فى ثوب عصرى، وهم حيال البسطاء يتحدثون عن الجنة والنار، فينتشرون باسم الاشتراكية والوطنية والديمقراطية. «السكرية -٣١٠»

والأستاذ التقدمى عدلى كريم يصفهم بالرجعية واستعارة اصطلاحات الاشتراكية. «نفسه -٣٥٤»

وعلى الصعيد العملى، لايختلف الإخوان عن غيرهم من القوى فى أسلوب الممارسة السياسية، فهم يؤيدون الوفد نكاية فى العدو المشترك، السعديين، أو كما يقول محمد حامد برهان لأبيه الوفدى: الإخوان معهم فى هذه الانتخابات. «الباقى -٣٦»

وهم يؤيدون ثورة يوليو ثم ينقلبون عليها، ويتحالفون مع السادات

ويتحمسون له قبل الاختلاف معه واتهامه بالكفر!.

ليست المسألة هنا فى الاتفاق أو الاختلاف مع مواقف الإخوان، لكنها فى التأكيد على أنهم سياسيون، ولا ينبغى للشعارات الدينية أن تطغى وتزيح حقيقة أنهم قوة سياسية لا تحتكر الحديث باسم الدين، ولا تتفرد بحمايته والدفاع عنه.

يقدم رجل المخابرات خالد صفوان تقييما مهما لرؤية الإخوان المسلمين بعد هزيمة ١٩٦٧، ويأتى تقييمه فى إطار الحديث عن منظومة تتسع لأهم القوى السياسية فى مصر: يوجد فى وطننا دينيون، وهؤلاء يهمهم قبل كل شىء أن يسيطر الدين على الحياة، فلسفة وسياسة وأخلاقا واقتصادا، وهم يرفضون التسليم للعدو ويأبون المفاوضة معه ولايرضون عن الحل السلمى إلا أن يحقق لهم ما يحققه النصر نفسه، أو فإنهم ينادون بالجهاد، ولكن أى جهاد؟، تراهم يحلمون بخوارق الفدائيين او بمعجزة تنزل من السماء، وقد يقبلون السلاح الروسى وهم يلعنون الروس وبشرط أن يجىء دون قيد أو شرط، ولعلهم يفضلون حلا سلميا مشرفا يتحقق بتدخل من أمريكا وينهى علاقتنا بروسيا الشيوعية نهائيا. «الكرنك-١٠٣»

تقييم قد يثير الجدل والاختلاف، لكن المهم أنه يتعامل مع جماعة الإخوان المسلمين كتيار سياسى ذى توجه دينى، وللتيار اجتهادات تتعلق بشتى مناحى الحياة على المستويين الداخلى والخارجى.

هل يمثل الاختلاف مع الإخوان خروجا عن الدين وتمردا عليه، أم أنه تباين فى الرؤى والاجتهادات السياسية؟!. لا يمكن لهم الزعم بأن اجتهادهم نابع من القراءة الوحيدة الصحيحة للدين، ذلك أنهم بشر يجتهدون ويصيبون ويخطئون ولا يملكون الحقيقة المطلقة.

" الإخوان والمرأة

فى مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، يكشف مأمون رضوان

عن جوهر الموقف العام الذى يحكم فكر الحركات الإسلامية الحديثة، وفى القلب منها جماعة الإخوان المسلمين، تجاه المرأة: أقول ما قال ربى، فإن رغبت فى معرفة أسلوبى الخاص، فالمرأة طمأنينة الدنيا، وسبيل وطىء لطمأنينة الآخرة. «القاهرة-٨»

المرأة -عند مأمون- شريك للرجل فى الدنيا، وأداة مهمة لتحقيق استقرار نفسى يعين على الحياة الفاضلة، ويقود إلى بر الأمان عند البعث والحساب. ينبغى للعلاقة بين الجنسين أن تكون شرعية مشروعة، وبها يتحصن الرجل ويقاوم إغراءات الرذيلة والفساد المفضية إلى السقوط فى هاوية المعاصى المهلكة. ولقد طبق مأمون عمليا ما ينادى به نظريا، فقد خطب فتاة تنتمى إلى أسرة محترمة: وتم الاتفاق على أن يعقد عليها عقب الانتهاء من دراسته، فصار يتردد على بيتها كل خميس. فيجالس الأسرة مجتمعة، ويمضى بضع ساعات فى سمر لذيذ.

ولم يخطر له على بال قط أن يدعو فتاته إلى السينما، أو أن يدبر حيلة للانفراد بها، ذلك أنه كان من الكافرين بالبدع الحديثة -على حد تعبيره- الثائرين عليها، فلقى سلوكه من أسرة الفتاة- أسرة حافظت على تمسكها بالتقاليد القديمة- كل إعجاب وتقدير. «نفسه -١٢»

المرأة ضرورة لاغنى عنها، والتصور المثالى لمأمون ينهض على أسس من الالتزام الصارم بالقواعد الدينية والأعراف الاجتماعية، مع تجنب المبالغة فى التزمت والتعنت. الجلسة العائلية بديل مقبول لبدعة الانفراد بين الخطيبين، ومثل هذا النمط من التحرر النسبى لايخالف روح العصر ولايتعارض مع جوهر الدين والأخلاق المحافظة. المؤسسة الزوجية هى الهدف، وكل ما قبلها بمثابة التمهيد المحدود المحسوب!.

بعد ثلث قرن من مقولة مأمون المتوازنة وسلوكه المعتدل، يطرح

المفكر الإخوانى عبدالوهاب إسماعيل رؤية أكثر تشددا: على المرأة أن تعود إلى البيت، لابأس من أن تتعلم ولكن لحساب البيت لا الوظيفة، ولا بأس من أن تضمن لها الدولة معاشا فى حال الطلاق أو فقد العائل.. «المرايا-٢٠٨»

البيت هو المكان المثالى المنطقى للمرأة المسلمة، والتعليم حق استثنائى مشروط مقيد لا يُطلب لذاته دون ضوابط، أما الضمانات الحكومية فهى بمثابة البديل لفقدان العائل، الرجل، الذى تقع على عاتقه مهمة الإنفاق والرعاية والوصاية. المرأة كائن هامشى دونىّ تابع، عديمة الاستقلال مسلوبة الإرادة، والرجل هوالمسئول عنها والمتكفل بها!.

الموقع المحدود الذى يحتله مأمون رضوان وعبدالوهاب إسماعيل، فى روايتى «القاهرة الجديدة» و«المرايا»، لا يتيح فرصة لمعرفة المزيدمن التفاصيل عن موقف الإخوان من المرأة، وسلوك اعضاء الجماعة معها، ورؤيتهم لحقوقها وواجباتهما وأسلوب مشاركتهافى الحياة العامة. وعندما يتسع الموقع فى «السكرية»: عبدالمنعم شوكت، وفى «الباقى من الزمن ساعة»: محمد حامد برهان، تتبلور الرؤية من مزيج فكرى وسلوكى، عبر عديد من الوقائع والتفاصيل الذاتية والموضوعية.

يبشر الماركسى أحمد شوكت بالمساواة بين الرجل والمرأة، ويتولى شقيقه الإخوانى عبدالمنعم مهمة الرد والمعارضة:

- لا أدرى إن كان مدحا أم ذما أن نقول للنساء إنهن مثلنا!

- إذا تعلق الأمر بالحقوق والواجبات فهو مدح لا ذم.

فقال عبدالمنعم:

- لقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة فيما عدا الميراث.. «السكرية-١٥٩»

ينفى عبدالمنعم فكرة المساواة الكاملة، ويرى فيها امتهانا للمرأة

وحطا من شأنها، لكنه يعود سريعا ليؤكد المساواة «فيما عدا الميراث». هل يُفهم من مقولته أن المساواة تمتد إلى جميع الحقوق والواجبات فى المجتمع الحديث، وأن للمرأة حقوقها المساوية للرجل فى مجالات التعليم والعمل والاشتغال بالسياسة؟.

الأقرب إلى أفكار عبدالمنعم، والأكثر توافقا مع سلوكه الشخصى، أن المساواة مقيدة، وأن المرأة تابعة للرجل محسوبة عليه بعيدة عن الاستقلال الحقيقى والحرية الكاملة.

لايخفى عبدالمنعم إعجابه بجمال ورقة نعيمة، ابنة خالته عائشة:

جميلة وست بيت وشديدة التقوى، لايعيبها إلا ضعفها، وحتى ضعفها جميل.. «نفسه -٢٤»

ليس وحده من يعجب بالفتاة الجميلة، التى تزوجها فيما بعد وماتت وهى تلد، لكن الجدير بالاهتمام والتأمل هو تحديده لمؤهلاتها الشكلية والموضوعية المثيرة للاعجاب والباعثة على التقدير: الجمال، ملازمة البيت، التدين، المرأة المثالية المنشودة للزواج الصالح هى من تجمع الصفات الثلاث، وهو لا يفكر - كما هو الحال عند أخيه ذى النزعة اليسارية- فى التعليم والعمل والثقافة والإرادة الحرة والشخصية المستقلة!

كان عبدالمنعم متدينا ورعا منذ البدء، ولم يكن انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين إلا تتويجا لتوجهاته الدينية الصادقة، لكن الإيمان القوى لايحول دون وجود مؤثر ملموس لنداء الغريزة الجنسية، ومن هنا جاءت علاقته العاطفية مع ابنة الجيران، الفتاة الصغيرة الرقيقة التى يحبها ولا يتخلى عن مشاعره الدينية، وينشب الصراع الحتمى بين إيمانه الراسخ وعاطفته التى لا يملك أن يقاومها: وضمها إلى صدره بعنف فى رغبة جامحة، وفى الوقت نفسه كأنما كان يجد هاربا من أصوات المعارضة الخافتة فى أعماقه باستسلام يائس، فلفحته نيران متأججة، واحتوته قوة قادرة

على إذابة اثنين فى دوامة واحدة. «نفسه -١٠٢»

الرغبة جامحة، والمقاومة قائمة، والاستسلام يائس، الحب مطلب لا يمكن إنكاره ولاتسهل مقاومته، لكن الضمير الدينى اليقظ ينشب أظفاره ويأبى أن يتلاشى أو يغيب. سرعان ما تسيطر مشاعرالندم بعد أن تنتهى المغامرة، فسيتم ويتوضأ ويصلى ويغرق فى تأملاته وأدعيته التى تكشف عما يعانيه من تمزق وحيرة: ودعا ربه أن يطرد الشيطان عن سبيله وأن يشد أزره فى مقاومة الغواية. ذلك الشيطان الذى يعترضه فى صورة فتاة ويندفع فى دمه رغبة جامحة. و دائما ابدا يقول عقله لا فيقول قلبه نعم، ثم يتلقفه ذلك الصراع المخيف الذى ينتهى بالهزيمة والندم. كل يوم تجربة وكل تجربة جحيم فمتى ينقضى هذا العذاب؟!. إن نضاله الروحى كله مهدد بالخراب وكأنما يبنى قصورا فى الهواء ولن يقر قرار لغارق فى الطين، فليت الندم يستطيع أن يرجع ساعة مضت. «نفسه -١٠٣»

للشاب احتياجاته الحسية التى لا يستطيع مقاومتها والتنكر لها، وفى قلبه يستقر إيمان قوى يفسد عليه العلاقة ويطارده بسياط التوبيخ ومشاعرالندم. صراع عنيف لاينبىء عن نهاية قريبة، واحتراق دائم ينتهى به إلى الثورة على ضعفه والتخلى عن الحب الشيطانى الذى يشبعه بقدر ما يعذبه: صغيرة لم تبلغ الرابعة عشرة من عمرها، أنت تعبث بها إشباعا لرغبة لا ترحم، ولن يكون لهذا العبث من غاية، ليس إلا عبثا تجلب به غضب الله ومقته. «نفسه-١٣٨»

لن ينتهى العبث إلا بالتوبة الصادقة والقطيعة الكاملة، ولن يستعيد عبدالمنعم توازنه الضائع إلا إذا اتخذ القرار الضرورى الصعب، ولانجاة من عذاب الضمير إلا إذا صارحها بحقيقة الخطأ ناصحا محذرا مفارقا:

- اعترفى بأننا مخطئان، فلا ينبغى أن نصر على الخطأ..
- عجيب أن أسمع منك هذا الكلام
- لا عجب، إن ضميرى لم يعد يتحمل الخطيئة، إنها تعذبنى وتفسد علىَّ صلاتى..

«صامتة!. آذيتها فليسامحنى الله، يالألم، ولكنى لن أتراجع، أحمد الله على أن الخطأ لم يدفعك إلى ما هو شر منه..»

-يجب أن يكون ماحصل درسا لنا فلا نعود إلى مثله، أنت صغيرة، وقد أخطأت، فلا تجرى مرة أخرى وراء الخطأ. «نفسه – ١٣٨»

الخطأ مشترك بطبيعة الحال، والخطيئة فعل يتطلب مشاركة الرجل والمرأة معا، لاشك أن عبدالمنعم قد عانى كثيرا قبل أن يتخذ قراره الحاسم الذى ينتصر به لدينه وتقواه، ولاشك أنه سعيد باستيعاب الدرس وخلاصه من المأزق الخطير الذى يهدد بالمزيد من السقوط والانهيار. نصيحته للجارة الصغيرة لاتخلو من نصيحة يوجهها إلى نفسه المعذبة الممزقة بين مطالب الجسد وإلحاح السمو الروحى: عودى إلى بيتك، لا تفعلى شيئا ترين وجوب التستر عليه، لاتقابلى أحدا فى الظلام. «نفسه –١٣٩»

وفى ذروة انتشائه بالانتصار على ضعفه والتحرر من سطوة الشيطان، يتوجه لفتاته بكلمات تنم عن سعادته بقراره، وتقديره للسلوك النزيه الشريف الذى يرتفع به عن الانتهازية الرخيصة:

- عى كل كلمة، ولا تغضبى، واذكرى أننى لو كنت نذلا ما ارتضيت أن أتركك قبل أن أقضى عليك، أستودعك الله.

ورقى فى السلم وثبا. انتهى من العذاب، ولن يكون طعمة لأنياب الندم، ولكن ليذكر قول أستاذه الشيخ على المنوفى: إن مغالبة الشيطان لن تكون بتجاهل سنن الطبيعة، أجل ليذكر هذا. «نفسه –١٣٩»

نهاية مؤقتة للعذاب وقسوة الندم، فلن تتركه الطبيعة ليهنأ بانتصاره. مطالب الغريزة لن تتوقف، ومعاندتها ليست فعلا إنسانيا. ولابد من الاقتحام الجذرى الجرىء لمعالجة جوهر المشكلة والخلاص النهائى من دوامة العذابات والتمزقات الموجعة. الزواج!.

زواج طالب جامعى صغير السن ليس بالأمر المقبول اجتماعيا، وقد ثار السيد أحمد عبدالجواد قبل سنوات قلائل لأن ابنه فهمى فكر فى الخطوبة لا الزواج، ومما يزيد الأمر غموضا وتعقيدا أن الشاب الإخوانى الوديع لايريد زوجة بعينها: إنى لا أدرى حتى الساعة من التى ستكون من نصيبى، اختاروها بأنفسكم، أريد زوجة لائقة، أى زوجة!. «نفسه - ١٤١»

الزواج عند عبدالمنعم وسيلة وحيدة لمقاومة مطالب الغريزة الجنسية فى إطار دينى شرعى مشروع، والزوجة أداة للإشباع الجنسى والأمان النفسى والحماية من السقوط فى شرك الرذيلة وغواية الشيطان. إنه ليس كغيره من الشباب البعيد عن الالتزام بأوامر الدين ونواهيه، وعقيدته القوية تحول دون تقليد أقرانه فى الأساليب غير الأخلاقية التى يسلكونها لإشباع احتياجاتهم الجنسية:

- لا أستطيع البقاء دون زواج..

فتساءلت خديجة:

- وآلاف الشبان أمثالك كيف يستطيعون؟

فقال الشاب مخاطبا أباه:

- لا أقبل أن أفعل ما يفعله الآخرون! «نفسه- ١٤٢»

مؤسسة الزواج لاتعنى شيئا إلا الجنس الشرعى، والزوجة المطلوبة تخلو من الشروط والمواصفات التى ينشدها غيره من الشباب، فلا مطالب فيها إلا أن تكون «زوجة لائقة» بالمفهوم الاجتماعى الواسع الذى تحدده الأسرة دون الشاب نفسه!.

سلوك عبدالمنعم ليس اجتهادا فرديا، فشيخه الإخوانى هو من علمه أن مغالبة الشيطان لن تكون بتجاهل سنن الطبيعة، وهى نصيحة تقود إلى الزواج بطبيعة الحال. ليلة الزفاف، يقول عبدالمنعم بشكل صريح مباشر:

– إن شيخنا أول من نصحنى بالزواج..

فقال أحمد مخاطبا كمال:

– لعل الإخوان يعتبرون الزواج مادة من دستورهم السياسى. «نفسه-١٥٢»

مقولة أحمد الساخرة التهكمية لاتخلو من الصدق، فالزواج عند الإخوان عصمة من الزلل، وعلاج ناجحه لوسوسة وإغراء الشيطان، ومقدمة ضرورية لكى يتفرغ عضو الجماعة لنشاطه الدينى والسياسى دون منغصات تفسد عليه حياته وتشتت جهوده!.

يختلف الأمر كثيرا عند محمد حامد برهان، فقد تعلق قلبه بألفت، ابنة الزوج السابق لزوجة أبيه مرفت هانم.زوجة الأب امرأة متبرجة أقرب إلى الاستهتار الأخلاقى، وبعيدة عن الالتزام الدينى والانضباط السلوكى، أما ابنة زوجها فشخصية مختلفة، تقتحم قلب المحامى الإخوانى الشاب وتسيطر عليه: رأى ألفت لأول مرة بتمعن وعن قرب فتحرك قلبه البرىء، واصطحبها معه فى عباءة خيالة عند انصرافه. ورآها فى القطار، بل وجالسها فيه أحيانا وتبادلا الحديث. وتسلطت بعد ذلك على ذاكرته وخياله، فلزمته فى البيت والمكتب والمحكمة على حين وهبته- فى واقع الحياة.. استجابة طيبة. «الباقى -٣٦»

لاحرج عند الإخوانى فى المجالسة والحديث، ولاتفكير فى المناخ الأسرى غير المستقر الذى نشأت فيه ألفت. التجربة العملية تبرهن على أنها أهل له، وأنها جديرة بالحب والاحترام، ومثال للزوجة الصالحة التى لايختارها الأهل وحدهم، ولاتتجاوز وظيفتها حدود

الإشباع الجنسى. وإذا كانت زوجتا عبدالمنعم تابعتين له وبعيدتين عن المشاركة الإيجابية فى نشاطه الفكرى والسياسى، فإن حبيبة محمد حامد تختلف عنها، والفضل فى اختلافها مردود إلى ثقافتها واقتحامها للحياة العامة موظفة لا تلزم البيت: ودون أن تدرى مضت تهتم بالسياسة والدين متخذة من محمد مرجعا ومرشدا حتى قال محمد لنفسه: إنها مختلفة تماما عن أمها التافهة. «نسه - ٤٠»

كان زواجهما إيجابيا ناجحا، وصمدت ألفت فى مواجهة المحن القاسية التى أصابت زوجها من جراء انتمائه إلى الإخوان. لم تسقط فى هاوية اليأس والضياع عندما تعرض للاعتقال وفقد ساقه وعينه والكثير من رزقه، وبعد الإفراج عنه يبدى محمد امتنانه وتقديره لسلوك زوجه وشجاعتها وقوة احتمالها وعظيم إخلاصها، ويتجسد موقفه بشكل احتفالى علنى كأنه حريص على إظهار فخره والإعلان عن سعادته: وحانت منه التفاتة الى ألفت فقبض على يدها ورفعها كأنما يقدمها إلى الجمهور فى حفل عام وقال:

- إليكم أفضل زوجة على وجه الأرض!

أجل، لقد صمدت فى المحنة. قامت بواجبها كمترجمة وربة بيت وحضنت شفيق وسهام بالرعاية متحدية النبذ والتحقيق والرزق المحدود. أثبتت أنها أقوى مما توقع محمد أو تصورت مرفت، وأقامت على حب الزوج الغائب بتفان، وتحمست أكثر لمبدئه، ولما رجع شبحا محطما غمرته بالحب والحنان راشقة فى سمائه السوداء نجمة ماسية. «نفسه - ٥٠، ٥١»

لايتحفظ محمد فى إظهار مشاعره الفياضة، ولايتردد فى المديح والإشادة وإغراقها بكلمات المودة والحب كأنه يرد لها بعض فضلها. ما يفعله محمد دليل عملى على ارتفاع المرأة عن مرتبة الدونية

والتبعية. فهى ليست مسلوبة الإرادة قليلة الحيلة عقيمة التفكير، وهى بذلك تختلف جذريا عن زوجتى عبدالمنعم اللتين يقتصر دورهما على الخدمات المنزلية والجنسية، ولا تعرفان المشاركة الحقيقية فى غمار الحياة التى يخوضها الزوج وينصهر بأحداثها.

الزوجة الثانية لعبدالمنعم، كريمة ابنة خاله ياسين، تصاب بالفزع والذعر عند اعتقال زوجها، وتهتف مولولة:

- أخذوه ياعمتى، أخذوه الى السجن. «السكرية-٣٧٤»

ألفت لا تعرف الفزع والصراخ، ذلك أنها تعى رسالة زوجها وطبيعة انتمائه وما يهدده من مخاطر. ليست بالزوجة التقليدية الخانعة التابعة، فهى تقتفى خطى زوجها وتتشبع بأفكاره وتتفانى فى حبه وتقدير تاريخه، أو كما تفكر ابنتها سهام التى تنتمى إلى معسكر اليسار المضاد: وأمها لا أمل فيها، فهى محبة لأبيها لدرجة العبادة ومؤمنة ببطولته. «الباقى-١٦٨»

وثمة ملاحظة مهمة تتعلق بزوجة محمد والزوجة الثانية لعبدالمنعم، فالزوجتان تنتميان إلى بيئة بعيدة عن الالتزام الدينى الصارم الذى ينشده الإخوان المسلمون، ومن خلالهما ينتصر نجيب محفوظ لتيار الحياة المتدفق القادر على هزيمة التزمت. كريمة ابنة خال عبدالمنعم، ولاشك أنه يعرف الكثير عن المناخ الذى نشأت فيه. خاله ياسين سكير مزواج يخاصم الأجواء الدينية المثالية التى يتشبث بها عبدالمنعم، وأم كريمة ذات تاريخ حافل، فهى عوادة فى تخت العوالم، وأنفقت معظم سنوات حياتها لاهية عابثة قبل أن تستقر مع ياسين. مثل هذين الأبوين لاينبثان عن تربة صالحة تنبت فيها الابنة. لكن عبدالمنعم يتجاوز الماضى بلاعناء، ويصطدم بأمه التى لا ترحب بالزواج، ولا تنسى الماضى الشائن لزوجة شقيقها. عبدالمنعم هو الذى ينسى ويغفر ويحتد على أمه فى حوار يختلط فيه الدينى بالاجتماعى:

- ذلك الماضى المنسى!، من يذكره الآن؟!، لم تعد إلا سيدة محترمة مثلك!

فقالت بصوت غليظ:

- ليست مثلى ولن تكون مثلى أبدا!

- ماذا يعيبها؟!، عرفناها منذ صغرنا سيدة محترمة بكل معنى الكلمة، والإنسان إذا تاب واستقام مُحيت صفحة سوابقه فلا يذكره بها بعد ذلك إلا .. وأمسك، فقالت وهى تهز رأسها فى أسف:

- نعم؟، صفعنى! سب أمك إكراما لهذه المرأة التى عرفت كيف تأكل مخك، طالما تساءلت عما وراء الدعوات المتتابعة إلى ولائم قصر الشوق، وإذا بك تقع كالجردل!. «السكرية-٢٧٨»

موقف خديجة الرافض ذو أسباب اجتماعية لاعلاقة لها بالدين، وغفران عبدالمنعم ينهض على أسس دينية تتعلق بأهمية التوبة وضرورة التجاوز عن سيئات الماضى ومخازيه.. التسامح الدينى لا يخلو من دوافع وأسباب ذاتية، فعبدالمنعم نفسه يبدو متشددا متعنتا فى مواقف أخرى، ولا يتسع صدره للغفران مع آخرين!.

ولقد نجح محمد حامد برهان فى التغاضى عن التاريخ العائلى لألفت، ولم يفكر فى المؤثرات السلبية التى صاحبت نشأتها مع زوجة أب متفرنجة لاهية مفرطة فى عشقها للحياة والحرص على التمتع بمسراتها دون حدود أو قيود، منصرفة عن الدين وتعاليمه، مستهينة بالأعراف الاجتماعية والقواعد الأخلاقية المهيمنة على البيئة التقليدية المحافظة التى تعيش فى إطارها. اللافت للنظر أن الإخوانى العتيد لايعرف مثل هذا التسامح المستيروهو يقيِّم تجربة ابنه شفيق، الإخوانى مثل أبيه، مع صديقته زكية محمدين. لم تكن العلاقة بينهما أخلاقية محترمة، لكنهما تابا واستقاما، ويريد الابن ان ينتقل معها إلى حياة شرعية جديرة بالاحترام: وختم شفيق اعترافه بقوله:

- أخطأت الفتاة ولها عذر كما أخطأت ولي عذري أيضا!

فهز محمد رأسه نفيا وقال:

- كلا، كان بوسعها أن تحافظ على شرفها وكان بوسعك أن تصبر..

حدس الجواب من قبل فتساءل:

- وإذا تاب كلانا؟

فقال محمد وهو يتفحصه بعناية:

- التوبة أمل الخاطئين..

فتردد لحظات ثم تساءل:

- أعنى أتوافق عند ذاك على زواجنا؟!

وجد نفسه محاصرا وتجرع خيبة أمل مريرة. واستسلم لانفعاله فقال:

- اختيار سيىء لن يعفى من عواقب وخيمة!

- ظننته ينقذ نفسين ضالتين..

- لاضمان لذلك.. «الباقى -١٥٤»

الإنسان مجبول على الخطأ والخطيئة، رجلا كان أم إمرأة، وباب التوبة مفتوح أمام العصاة التائبين، فأى اختيار سيىء ذى عواقب وخيمة، وأى ضمان يتحدث عنه الأب الإخوانى المؤمن؟!.

لافارق في المسئولية بين شفيق وزكية، فبأى منطق تدان الفتاة وحدها وتطالب بالحفاظ على شرفها، كأن الشاب الذى شاركها فى الخطيئة لاشرف له؟!. الموقف فى حقيقته محمل بالرواسب الاجتماعية التى لا تتسامح مع المرأة وتتهاون كثيرا مع الرجل، والحجة الدينية التى يقدمها شفيق تصطدم مع الثقافة الشعبية الراسخة فى أعماق أبيه، وهى ثقافة يسهل طلاؤها بمقولات دينية!

قد يكون محمد مسلما صادقا عميق الإيمان، وقد يكون سلوكه الدينى والدنيوى قريبا من المثالية، لكنه إنسان يخضع لما يتأثر به

البشر. الإنسان لايمكن أن يكون كائنا ميكانيكيا وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالشرف الاجتماعى!.

يعرف محمد خبايا الحياة ويتفاعل مع متغيراتها الاجتماعية القاسية، ويدرك أن الزواج لم يعد بالأمر الهين المتاح لأبناء الجيل المرهق الذى ينتمى إليه ابنه. وفى هذا السياق يعرض على شفيق زيجة «مناسبة» بالمفهوم الاقتصادى والسياسى، فالعروس المرشحة ابنة زميل إخوانى ثرى: سيتكفل أبوها بكل شىء، حتى المسكن، قانعا منا بشىء رمزى. «نفسه-١٨٥»

صفقة مغرية يتحمس لها الابن الاخوانى الشاب، قبل أن يفتر حماسه بعد رؤية العروس!. رفض شفيق يثير غضب أبيه، فهو يرى الفتاة مؤهلة بكل ما يلزم الزوجة المسلمة الصالحة:

- مال وأخلاق ودين، كن من أهل الباطن!

فأشار شفيق إلى أمه ألفت وقال ضاحكا:

- بل أكون مثلك من أهل الظاهر والباطن معا!. «نفسه- ١٨٥»

ماجدوى المال والأخلاق والدين بلا جمال؟!. الزوجة المنشودة ليست سلوكا دينيا اخلاقيا ومقدرة مالية فحسب، فالجمال أيضا مطلب لايقل أهمية، والأب نفسه تزوج من إمرأة جميلة، فلماذا يُطالب الابن بالتضحية الباهظة؟!. هل يستطيع شفيق أن يهزم الشيطان إذا تزوجها؟! أليس أنه عرضة للسقوط فى براثنه من جديد؟!.

موقف الإخوان من المرأة قد يكون متعنتا يرى فيها تابعا بلا خصوصية، لكن الممارسة العملية تكشف عن انتصار الحياة وهزيمة الخطاب الفُكرى المفارق لروح العصر!.

الفصل

2

الإخوان والقوى السياسية..

- الإخوان والوفد
- الإخوان وثورة يوليو
- الإخوان والسادات والتيارات الدينية الجديدة
- الإخوان والشيوعيون

الإخوان والوفد:

ينتمى محمد حامد برهان إلى أسرة مصرية متوسطة، فالأب موظف صغير والأم ربة منزل، والسكنى فى بيت قديم كبير فى ضاحية حلوان. من الناحية السياسية، فإن الهوى الوفدى هو الغالب المهيمن على الجميع: فسنية وفدية مثل زوجها ومحمد وفدى أيضا، حتى منيرة تعد وفدية بلا حماس. «الباقى-١١»

الأسرة المصرية الصميمة محسوبة على الوفد، مثلها فى ذلك مثل الغالبية العظمى من المصريين قبل ثورة ٢٣ يوليو. ولقد بدأت علاقة محمد مع جماعة الإخوان المسلمين فى أعقاب الأزمة السياسية التى أطاحت بالوفد من الحكم فى مطلع عهد الملك فاروق، ولم يكن يشعر بوجود تناقض حقيقى بين الانتماء للجماعة والاحتفاظ بالهوى الوفدى الموروث: وجذبت نظره ذات يوم لافتة مثبتة على قضبان شرفة شقة بشارع سعفان مسجل عليها بالخط الفارسى «الإخوان المسلمون» فدعاه حب الاستطلاع والتوتر إلى اقتحام الشقة، ومضى يختلف إليها من حين إلى حين وينوه بما يُلقى عليه فيها بين أسرته، حتى قال له حامد برهان:

-حسبك، إنى غير مرتاح لذلك..

فدافع الشاب عن وجهة نظره دفاعا بريئا، ولكن أباه قال:

- أنت وفدى، وأى تجمع آخر ماهو إلا منافس للوفد.

فقال محمد بإصرار:

- إنها مفتوحة للجميع!.

ولم يطرأ عليه فى تلك الفترة من تغيير إلا أن أضاف إلى مجال اطلاعه بعض الكتب الدينية. «نفسه -١٢، ١٣»

أى تجمع «سياسى» هو منافس للوفد بالضرورة، وأنصاره مطروحون من رصيد الحزب الشعبى الكبير، لكن جماعة الإخوان «مفتوحة» للجميع ونشاطها الظاهرى ينأى بها عن الطابع السياسى الصريح المباشر، فهى أقرب إلى الجمعيات الدينية منها إلى الأحزاب السياسية، وليس أدل على ذلك من قراءات محمد المترتبة على اقترابه من الإخوان، فهو مسلم قبل أن يكون وفديا، وهو مسلم مع وفديته. حامد برهان لا يشعر بالارتياح لتوجه ابنه، فالوفد عنده قادر على تحقيق الإشباع الكامل دون شريك او مزاحم. الجيل الجديد يبدو أقل تشبثا بالنقاء الوفدى، ويمكن القول إن محمد حامد وفدى إخوانى، فالخطاب الدينى للجماعة لا يتناقض مع أفكار الوفد، وغياب الهوية السياسية الواضحة للإخوان يشجع أمثال محمد على الجمع بين الاتجاهين.

لم يتنكر محمد لوفديته، وقد التحق بعد تخرجه فى كلية الحقوق بمكتب أحد المحامين الوفديين، ولاشك أن المحامى لا يرحب إلا بأمثاله من الوفديين: أما محمد فوجد عملا فى مكتب الأستاذ عبدالقادر قدرى المحامى الوفدى المعروف، وكان موصولا بصداقته فى عهد وفديته الخالصة فلم ينقطع عنه بعد أن مازجت وفديته «إخوانية» متصاعدة. «نفسه-٣٢»

قد لا يكون محمد وفديا خالصا مثل أبيه وأستاذه، لكن الانتماء قائم والحب موصول، وهو لا يتنكر لمبادئ الحزب الشعبى وقيمه الوطنية، فضلا عن غياب الشعور بالتناقض والعداء. التحول

الكامل لمحمد يبدأ مع حملة السعديين الضارية ضد جماعة الإخوان، واستقبال المعتقلات لمئات من المنتمين إلى الجماعة التى تكتسب المزيد من الأنصار والمؤيدين، وتمارس من العنف والإرهاب ما يعرضها لرد فعل لا يقل قسوة. يقول الأب بعد اعتقال ابنه:

ـ لم يرتح قلبى قط لانضمامه إلى الإخوان، وكلنا مسلمون والحمدلله.. «نفسه-٣٣»

الإخوان لايحتكرون تمثيل الإسلام والتعبير عنه من المنظور الوفدى، والوفديون مسلمون مثل الإخوان تماما، لكنهم يتميزون بتقديم برنامج سياسى لايرون فيه تعارضا مع الدين. بعد الإفراج عن محمد، يسأله أستاذه عبدالقادر قدرى:

– هل شبعت من الإخوانية؟

أجابه ضاحكا:

– العكس هو ماحصل!

فقال الأستاذ عبدالقادر:

– افهم معنى الوفد قبل فوات الأوان، إنه ليس حزبا ولكنه قاعدة الأساس المتماسك، هو بكل إيجاز مصر.

فتساءل محمد:

– هل ندور على مدى العمر حول الاستقلال والدستور؟

–جدد ما تشاءولكن فوق القاعدة المتماسكة وإلا وجدت نفسك فى عهد ما قبل الأسر!. «نفسه- ٣٤»

مثل الآلاف من أبناء جيله الحائر المضطرب، لم يعد محمد قانعا بالوفد وهدفه الاستقلال والدستور. وفى المقابل، يرحب الوفديون المستنيرون بالتجديد المحسوب الذى لا يخاصم القيم العامة والمبادىء الشاملة التى يقدمها حزبهم. من المنطقى أن يتخلى الإخوان عن أفكارهم السياسية القديمة السابقة لاندماجهم الكامل فى الحركة الإسلامية، وعند إجراء انتخابات جديدة بعد سقوط

حكومة السعديين، يؤيد محمد حزبه القديم نكاية فى الخصم السياسى المشترك. وإذ يلتقى الإخوانى الشاب مع أبيه فى دائرة انتخابية واحدة، يهمس الأب فى أذنه:

- الشكر لله على أنك مازلت فى الأعماق وفديا.

فقال له محمد باسما:

- الإخوان معكم فى هذه الانتخابات. «نفسه -٣٦»

الإخوان المسلمون تيار مستقل، ومحمد يتكلم كإخوانى خالص تتحالف جماعته مع الوفد دون ولاءسياسى أو تراجع عن المبادىء والأفكار المختلفة. وفى هذا السياق يتحمس محمد لثورة يوليو متوهما أنها حركة إخوانية، وكان تعليقه الأول عند قيامها:

- فلنستبشر خيرا. فأى شىء خير مما كان. «نفسه- ٣٨»

الوفد جزء جوهرى مما كان، ولا مجال للبكاء عليه والتمسك بأيامه الآفلة. يقول حامد برهان لابنه ناصحا:

-ابعد عن الإخوان، حسبك ما أصابك نتيجة لانضمامك البرىء إليهم..

فقال محمد بدهشة:

- كيف أهجرهم بعد أن تُوج كفاحهم بالفوزالمبين؟

فقال الأب كاظما غيظه:

- ماهى إلا حركة بلا جذور شعبية فلا تعرض نفسك لغضب الشعب كما تعرضت سابقا لغضب الحكومة..

فابتسم محمد فى ثقة وقال:

- الماضى مات قبل أن تمتد يد لقتله.. «نفسه-٤٠»

العهد البائد كله لايروق للإخوانى الذى برأ من وفديته وتبرأ منها، والأب يتحدث بلسان الماضى الذى ولى وانقضى. يندفع محمد فى تأييد العهد الجديد والعمل من خلاله، لكن سلطة الضباط تصطدم بالإخوان وتنكل بهم، ومعاناة الإخوان المسلمين فى

الحقبة الناصرية هى دافعهم إلى إظهار بعض التعاطف مع الوفد ورموزه، وهو ما يتجلى عند رحيل الزعيم مصطفى النحاس، والجنازة الشعبية المهيبة فى وداعه.

خبر موت الزعيم الوفدى يثير مشاعر الاسى فى أعماق محمد: نبض عرق قديم فى هيكله المتجدد فرأى الماضى والحاضر والمستقبل فى لوحة رمادية تقطر أسى ورحمة. «نفسه -٨٢»

كان الوداع الشعبى هائلا ومفاجئا، ويتساءل الإخوانى الكاره لثورة يوليو وهو يشاهد الجنازة:

- من أين جاء هؤلاء الشبان؟

كيف فرضت هذه الزعامة نفسها على القلوب ساعة الوداع بعد أن توارت عن السمع والبصر وغطتها أيدى الرقباء برداء النسيان. أمازال للوفد مريدون بهذا العدد؟. هل انضم إليهم كل محب للحرية ومحروم منها؟. «نفسه -٨٣»

إنه لايعود إلى وفديته القديمة الضائعة، وأحاسيسه تعبيرعن كراهية عميقة للسلطة الناصرية وقائدها أكثر منها تجسيدا لمشاعر الود تجاه الوفد وزعيمه. الإخوان مستقلون لايدينون بالولاء لغير تنظيمهم، وتحالفاتهم رهينة بما يرون فيه مصلحة سياسية لهم، ولا اعتبار عندهم لتاريخ الوفد أو مبادئه الشعبية التى يقدمون بديلا لها. الجذور الوفدية لبعض الإخوان تتآكل، ولا تبقى إلا إخوانيتهم الراسخة!.

●●●

يقدم محمد حامد برهان نموذجا متكاملا لطبيعة العلاقة بين الإخوان المسلمين والوفد، وفى مواضع أخرى من عالم نجيب محفوظ ما تكتمل به اللوحة السابقة. وإذا كان الإطار الزمنى الممتد لرواية «الباقى من الزمن ساعة» يتيح ا ستعراضا شاملا يصل إلى ثورة ٢٣ يوليو ومابعدها، فإن عبدالمنعم شوكت فى «السكرية»، التى

تتوقف عند سنوات محددة محدودة من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٤٤، يجسد الأصول الوفدية لكثير من أعضاء الإخوان المسلمين، قبل أن يستغنوا بالحركة عن غيرها، ويقنعوا بمبادئها إلى درجة الانتماء الخالص من الشوائب.

فى مرحلة التكوين، وقبل أن يعرف عبدالمنعم طريقه إلى حركة الإخوان وينتمى إليها، يقول كمال عبدالجواد لابنى شقيقته، اللذين انتميا بعد سنوات قليلة إلى جماعة الإخوان والتنظيمات الماركسية:

– وأنتما وفديان كذلك فما وجه الغرابة؟. وكل وطنى فهو وفدى، أليس كذلك؟

فقال عبدالمنعم بصوته اليقينى:

– الوفد أفضل الأحزاب بلا ريب، ولكنه فى ذاته لم يعد مقنعا كل الإقناع..

وقال أحمد ضاحكا:

– إنى أوافق أخى على رأيه هذا، أو بالأحرى لا أوافقه على رأى إلا هذا. «السكرية–٣٨»

الوفد هو أفضل المتاح، والأقرب بمبادئه الشعبية إلى قلوب الشباب الوطنى، لكن الحزب الكبير لم يعد مشبعا لتطلعات الجيل الجديد ومطالبه التى تتجاوز المبادىء الوفدية التقليدية. ومن ناحية أخرى، فإن الارتباك السائد فى الحياة السياسية المصرية، يدفع بعبدالمنعم واحمد وأمثالهما الى البحث عن بديل. كان عبدالمنعم من المراهنين على الوفد والحالمين بأن يستقر حكمه بعيدا عن المنغصات والانقلابات، وتتجلى رؤيته هذه فى قوله لأخيه بعد المشاركة فى تشييع جنازة الملك أحمد فؤاد: فاروق غلام، ليس له دهاء أبيه ولانابه الأزرق، فإذا سارت الأمور سيرا حسنا، فنجحت المفاوضات، وعاد الوفد إلى الحكم، فسوف تستقر الأمور وينقضى عهد المؤامرات.. المستقبل حسن فيما يبدو.. «نفسه–٩٦»

وفقا لقواعد النظام الدستورى، فإن الوفد هو الأولى والأحق بالحكم، مؤيدا بالأغلبية الشعبية التى تسانده. تطلع عبدالمنعم إلى انتصار الوفد لا يعنى الاقتناع الكامل به، فالوفد خير من غيره وليس خيرا مطلقا، والشاب ذو التوجه الإسلامى لا يبايع المنهج الوفدى دون شروط: إنه لم يحكم طويلا حتى يعرف مدى قدرته، وقريبا تكشف التجربة عن إمكانياته الحقيقية، إنى أوافقك على أنه خير من غيره، ولكن طموحنا لن يقف عنده!. «نفسه -٩٦» الطموح لا ينتهى عند الوفد، والوفد نفسه لايحتل مكانته المنطقية فى ظل الخلل الذى يحكم الحياة السياسية، ويتيح للملك فاروق وأحزاب الأقلية فرصة التلاعب والانقلاب وحرمان الشعب من الحزب الذى يعبر عنه.

مثلما هو الحال مع محمد حامد برهان، يندمج عبدالمنعم سريعا فى صفوف الإخوان وتتبخر المؤثرات الوفدية، تماما كما انخرط شقيقه أحمد فى صفوف التنظيمات الماركسية وانقطعت صلاته بالوفد.

●●●

أفكار الأب الوفدى حامد برهان والمحامى الوفدى عبدالقادر قدرى، بشأن العلاقة بين الوفد والإخوان المسلمين، تجد أصداء متباينة فى عالم نجيب محفوظ.

الوفدى العجوز عامر وجدى شاهد مشارك على التيارات السياسية المختلفة التى عاصرها فى رحلة حياته الطويلة، وهو لا يخفى ضيقه بالاتجاهين المتناقضين المعارضين للوفد: الإخوان الذين لم أحبهم، الشيوعيون الذين لم أفهمهم. «ميرامار-٢٤»

الفارق كبير بين «عدم الحب» و«عدم الفهم»، فهو يفهم الإخوان المسلمين ولايحبهم، ولايفهم الشيوعيين مكتفيا بالهجوم عليهم دون حب أو كراهية!.

ولا يختلف الوفدى كمال عبدالجواد فى تقييمه للإخوان، من خلال رؤيته السلبية لابن شقيقته: عبدالمنعم شوكت. إنه يحبه بطبيعة الحال على المستوى الشخصى العائلى، لكنه يضيق به على المستوى الفكرى والسياسى. منذ البدء، وقبل أن تكتمل الملامح الإخوانية لعبدالمنعم، يفكر كمال راصدا ساخطا: أما يقينه وتعصبه فما أرذلهما!. «السكرية -٤١»

ولقد انضم عبدالمنعم الى الإخوان مسلحا باليقين والتعصب، ومن البدهى أن يستمر موقف كمال دون تغيير: أما تعصب العريس فشد ما يزعجه. «نفسه-١٥٣»

تصطدم ليبرالية الوفديين مع تعصب الإخوان وما يتسمون به من يقين استفزازى، ويصل العداء الى ذروته على لسان ضابط الشرطة حامد عمرو، ذى الانتماء الوفدى المقيد بظروف مهنته: الإخوان تجار دين. «حديث-٦٩»

لأن أغلبية المصريين كانوا من المنتمين إلى الوفد قبل ثورة ٢٣ يوليو، فإن كثيرا من الإخوان كانوا أقرب إلى الوفد قبل أن يتخلوا عن انتمائهم لحساب الجماعة التى تمزج فى خطابها بين الدينى والسياسى، ومن المنطقى أن يضيق الوفديون المخلصون بالجماعة المنافسة، لكن ضيقهم لا يتجاوز حدود الاعتدال إلا نادرا.

العاديون من الناس، وهم الجمهور الوفدى موضوعيا وعاطفيا على الرغم من عدم اشتغالهم بالسياسة أو انشغالهم بها، يعبرون بطريقتهم الخاصة عن موقف من الإخوان المسلمين، يمزج بين الإعجاب والتهكم والجهل بوجودهم المستقل!.

أحمد عبدالجواد وفدى لايتورط فى العمل السياسى المباشر، وهو جد لواحد من شباب الإخوان. عند زواج حفيديه، يستدعى العريس الإخوانى لمقابلته: وطلب إليه أن يتعهد بإتمام دراسته، فتكلم عبدالمنعم كلاما جميلا مريحا مستشهدا فى أثناء ذلك

بالقرآن والحديث، فترك فى نفس جده آثارا متباينة من الإعجاب والسخرية. «السكرية -١٤٤»

الإعجاب بتدين الشاب واستشهاده بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية، أما السخرية فمردها إلى المزاج المصرى الذى ينفر من المبالغة فى التدين ويكره الاقتراب من دائرة الدروشة!.

موقف شبيه تتخذه خديجة أحمد عبدالجواد من سلوك ابنها: الدين جميل ولكن ما ضرورة هذه اللحية التى تبدو فيها مثل محمد العجمى بياع الكسكسى؟!. «نفسه -٣٣٠»

إنها تميزبفطرتها بين التدين المعتدل المقبول، والمبالغة التى تتعلق بالشكليات ولاتحظى بالاحترام الاجتماعى!. وإذ تشيد زنوبة بزوج ابنتها، وهى التى عاشت معظم سنوات حياتها بعيدا عن الالتزام الدينى:

- قليل من الشبان من هم فى تدين عبدالمنعم..

تعلق خديجة على مديحها:

- يعجبنى تدينه، هذا خلق فى دم أسرتنا، ولكن لا تعجبنى لحيته.. «نفسه-٣٣٤»

أحمد عبدالجواد وابنته خديجة مسلمان معتدلان بعيدان عن التعصب والتزمت وكلاهما يبدى الارتياح لتدين عبدالمنعم والتزامه الأخلاقى المحمود، لكنهما يمتعضان من المبالغة التى لا تتوافق مع البساطة والاعتدال.

ولا تختلف أمينة عن زوجها وابنتها فى الإعجاب بتدين حفيدها: .. جدته أمينة المعجبة بتدينه، وكانت تقطع حديثه بالدعاء له. «نفسه-١٤٥».

لكن الإعجاب بالتدين لا يعنى أنها تعرف شيئا عن الإخوان المسلمين وأفكارهم وأنشطتهم، وعند اعتقال عبدالمنعم تتوجه بسؤالها الحائر الى ابنها كمال: أختك تقول إنهم قبضوا على

عبدالمنعم لانه من الإخوان المسلمين، لماذا يقبضون على المسلمين؟.
«نفسه-٣٧٩»

ومن أين لها أن تعرف شيئاعن الجماعة الدينية السياسية، أو تميزبين اعضائها وعموم المسلمين؟!.

الوفديون والمتعاطفون مع الوفد يعرفون الإسلام فى بساطته وسماحته واعتداله، ويعجبون بالتدين الصادق البعيد عن غير المألوف من الطقوس. انهم يميزون بوضوح بين الإسلام والإخوان المسلمين، فالإخوان لايحتكرون الدين ولا يملكون الحق فى الادعاء أنهم يمثلونه دون غيرهم من المسلمين. وإذا كان الوفديون يتسمون بالاعتدال فى موقفهم الرافض للإخوان، فإن الإخوان بدورهم لا يبالغون كثيرا فى العداء والاختلاف. وفى قصة «نور القمر» يتقدم الضابط المتقاعد أنور عزمى ليرشح نفسه على مبادىء الوفد، بعد أن رفض الحزب ترشيحه: وجدتنى أنافس مرشح الوفد الرسمى ومرشحا آخر من الإخوان. وعند احتدام المعركة وُزعت منشورات غريبة استهدفت نسفى تماما.. «الحب فوق-٤٧»

الإخوان ينافسون الوفد، لكن التشهير والتجريح يطول المرشح الثالث ذا التاريخ الحافل بالتجاوزات. لا تحدد القصة من يقف وراء المنشورات، لكنها لا تشير إلى اتهامات متبادلة بين الوفدى والإخوانى.

الاستثناء الوحيد يقدمه عبدالوهاب إسماعيل، الذى يجسد شخصية المفكر الإخوانى البارز سيد قطب.

يتسم عبدالوهاب بقدر كبير من التعصب الدينى قبل أن ينضم إلى الإخوان، ويأخذ على الراوى الوفدى تسامحه الذى يمثل علامة وفدية: لافائدة من مناقشة وفدى فى هذا الموضوع، وقد كنت وفديا ذات يوم. «المرايا -٢٠٥».

البداية وفدية، لكنه انشق مع السعديين من فرط إعجابه بأحمد

ماهر، واستقال من وظيفته فى عهد الحكومة الوفدية الأخيرة ليعمل فى الصحافة: وعُرف فى تلك الفترة بهجومه المتواصل على حكومة الوفد. «نفسه-٢٠٦»

موقف عبدالوهاب إسماعيل استثنائى، وعداؤه للوفد سابق لانضمامه إلى جماعة الإخوان، فضلا عن أنه بدأ وفديا، قبل أن ينضم الى السعديين، ألد أعداء الوفد قبل ثورة يوليو، والأكثر شراسة فى قمع الإخوان المسلمين ومطاردتهم!.

●●●

كانت الحكومات الوفدية متسامحة مع معارضيها وخصومها السياسيين، ولم تلجأ إلى الاضطهاد والتنكيل الذى مارسته الحكومات السعدية مع قوى المعارضة بشكل عام، ومع جماعة الإخوان المسلمين على وجه الخصوص.

فى قهوة «قشتمر» تنهال الأخبار على الركن الدائم الذى يحتله أصدقاء العمر: وانهمرت على ركن قشتمر الأخبار المثيرة، مصرع أحمد ماهر، حرب فلسطين، مصرع النقراشى، الحرب بين إبراهيم عبدالهادى وبين الإخوان.. «قشتمر-٩٧».

الأخبار مختزلة تضن بالتفاصيل: من الذى قتل النقراشى ولماذا؟. وما السر فى الحرب التى شنها خليفته إبراهيم عبدالهادى ضد الإخوان؟. الإخوان المسلمون هم قاتلو النقراشى، وحرب عبدالهادى رد فعل انتقامى وصل بالعنف المتبادل إلى ذروته، ودفع الإخوان المسلمون ثمنا فادحا: اغتيال زعيمهم الشيخ حسن البنا، وتعرض مئات من كوادرهم للاعتقال والتعذيب. كان صبرى صادق صفوان واحدا منهم، وأكد لنا صادق أن ابنه لم ينضم للجماعة ولكنه بدافع من تدينه تبرع لبناء جامع فعُثر على اسمه فى كشف المتبرعين وعُد من الإخوان ورغم أنه أهين وضُرب ولكنه أفرج عنه، ووقفت فترة الاعتقال عثرة فى سبيل توظيفه ولو إلى حين. «نفسه-١٠٠»

لا ينجو أحد من الأذى، والمعاملة فى المعتقلات بالغة القسوة، والإفراج لا يعنى نهاية الاضطهاد!.

وكان محمد حامد برهان من ضحايا السعديين، ويشير نجيب محفوظ إلى اعتقاله بعد تصاعد الحملة الأمنية ضد الإخوان، مع إغفال أسباب الصدام وإهمال العنف الذى مارسه الإخوان: غير أن الحرب انتهت بهزيمة العرب، ومقتل النقراشى، وإعلان حرب داخلية لاهوادة فيها ضد الإخوان، فقبض على محمد فيمن قبض عليهم ضمن شعبة حلوان. «الباقى-٣٢»

وليس أدل على عنف الحملة من مشاعر الحرج التى تنتاب الوجيه نعمان الرشيدى، زوج أخت محمد، لأنه مطالب بالتدخل لإنقاذ شقيق زوجته: لعلاقته الوثيقة بالمسئولين من جميع الأحزاب، فقال: سأبذل ما فى وسعى رغم أن الدفاع عن إخوانى فى هذه الظروف تصرف مرعب!.

كان حريصا على علاقاته الودية بجميع الأحزاب، لذلك ساءه أن يكون أخو زوجته إخوانيا، فكيف يسعى بنفسه إلى الكشف عن هذه الحقيقة الفاضحة؟!. «نفسه-٣٣»

الدفاع عن الإخوان «تصرف مرعب»، وعلاقة النسب مع واحد منهم «حقيقة فاضحة»!.

وفى قصة «صباح الورد» يفخر الموظف الصغير البائس عبدالخالق مراد بابنى أخته، ضابطى الشرطة والجيش، لكن الفخر لا يدوم: ففى الفترة الحرجة التى أعقبت الحرب استولت مبادىء الإخوان على ضابط الشرطة، وفى خضم الصراع بين الإخوان والسلطة انكشف أمره فى مطاردة مثيرة وقتل برصاص الشرطة!. قتل الجنود ضابطهم، ولم أعرف هذه الحقيقة إلا من عبدالخالق نفسه، بخلاف ما نشر فى الجرائد من أنه قتل برصاص الإخوان فى المعركة. وأرسل عبدالخالق لنا كلمة مكتوبة يحذرنا فيها من

شهود سرادق المأتم خوفا أن نُجر بسبب ذلك إلى التحقيق.

وقال لى فيما تلا ذلك من أيام:

- حتى بيتنا فتشوه. «صباح-٣٤»

حرب حقيقية تدور بين الإخوان والسعديين، والضحايا يسقطون من الجانبين، ولا مجال للحياد فى الحرب: التعاطف مع الإخوان تهمة، وصلات القرابة والنسب فضيحة، والإخوان المسلمون يقتلون مثلما يُقتلون. لقد تغلغل الأعضاء فى أخطر المؤسسات وأقربها إلى السلطة، وشهدت المعتقلات صنوفا شتى من التعذيب غير المسبوق فى تاريخ الصراعات السياسية فى مصر. لم يكن صبرى صادق صفوان وحده من أهين وضُرب، فالمصير نفسه يتعرض له محمد حامد. أفرج عنه بعد فترة غير قصيرة، وعلى الرغم من تظاهره بالتماسك والقوة، فإنه يعترف لأخته منيرة بما يعانيه من آلام: لن تنزع من روحى آلام الضرب الذى انهمر على جسدى كالمطر!. «الباقى-٣٥».

ومن المنطقى أن يكون سقوط السعديين عيداً عند الإخوان، ولا يملك محمد أن يخفى فرحته: اللهم لا شماتة!. «نفسه-٣٦»

إدانة جرائم السعديين وتجاوزاتهم لا تعنى تبرئة الإخوان، فقد كان الإرهاب متبادلا، ولم يكن عنف الإخوان أقل من عنف الحكومة. لم يعرفوا مثل هذه القسوة المفرطة فى ظل الحكومات الوفدية، لكنهم فى حقيقة الأمر لا يعترفون بالفكرة الحزبية نفسها!.

●●●

قد لا يكون مأمون رضوان إخوانيا، لكنه يصلح للتعبير عن أفكار الإخوان وتوجهاتهم قبل أن يكتسبوا وجودا فاعلا فى الحياة السياسية المصرية، فى أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين.

يكشف مأمون عن المبدأ العام الذى يحكم الحركات الإسلامية

السياسية، وما تتسم به أفكارهم من عداء للتعددية والحزبية: يهز منكبيه استهانة كلما رأى الطلبة يتحمسون لمن يدعونهم بالزعماء، وكان ينكر الأحزاب جميعا، ويأبى الاعتراف بـ«القضية المصرية» ويقول بحماسه المعهود: إن هناك قضية واحدة هى قضية الإسلام.. «القاهرة-١٤»

لأنهم يملكون الحقيقة المطلقة، ويحتكرون اليقين الذى لا تشوبه شائبة، فإنهم ينكرون حق الآخرين فى الوجود. حزبهم هو حزب الله، ولا متسع لغيره. وفى هذا السياق، يمكن فهم طبيعة علاقتهم مع ثورة يوليو، من التأييد والوفاق إلى الصراع والصدام.

الإخوان وثورة يوليو

على نحو ما، فإن ثورة يوليو بديل «معتدل» لاتجاهين متناقضين كانا فى طليعة القوى السياسية التى زلزلت النظام السائد قبل ١٩٥٢، وكانا المرشحين لوراثته: الإخوان المسلمون والشيوعيون.

الناصرى الانتهازى سرحان البحيرى، فى حواره مع الإقطاعى الرجعى طلبة مرزوق، يرى فى الإخوان والشيوعيين «فزاعة» تعلى من أسهم ثورة يوليو، وتجعل منها حلا مقبولا بعيدا عن التطرف الذى يمثله الاتجاهان الضدان:

- هل أدلك على عزاء حقيقى؟
- ما هو؟
- البعض يضيقون بالثورة، ولكن أى نظام يمكن أن يحل محلها؟ فكر قليلاً أو كثيراً فلن تجده خارجا عن واحد من اثنين، فإما الشيوعية وإما الإخوان، فأيهما تفضل على الثورة؟!.

قال بعجلة:

- لا هذا ولا ذاك!
- هذا هو يقينى، فليكن لك فى ذلك عزاء.. «ميرامار-٢٦٥»

ما يقوله الناصرى الوصولى يفضى موضوعيا إلى أن نظام يوليو هو أهون «الشرور»، ومثل هذا التقييم، الذى يسعى صاحبه أن يكون بارعا وعمليا، يتسم بقصر النظر، ويفتح الباب واسعاً أمام المزيد من «البدائل» التى تحمل المزيد من «العزاء». لا شك فى كراهية طلبة مرزوق وأمثاله للإخوان والشيوعيين، ولا شك أيضاً فى كراهيتهم لسلطة يوليو وضيقهم بتوجهها الاجتماعى والسياسى. المنطق الذى يطرحه سرحان وينتصر به لثورة يوليو ليس نهاية المطاف، ذلك أن طلبة يرفض الشيوعيين والإخوان والوفد وثورة يوليو جميعا، ويرى فى الولايات المتحدة الأمريكية بديلا للجميع. بعد انتحار سرحان، يقول طلبة للعجوز الحكيم عامر وجدى:

- أراد أن يقنعنى بالثورة بمنطق غريب.

نظرت إليه متسائلا فقال:

- أكد لى أنه لا بديل للثورة إلا واحد من اثنين.. الشيوعيين أو الإخوان!. فظن أنه دفعنى إلى ركن مسدود..

ضحك ساخرا ثم قال:

- بل يوجد بديل ثالث!

- ما هو؟

- أمريكا!

- أمريكا تحكمنا؟

- عن طريق يمينيين معقولين، لم لا؟. «نفسه-٢٨١»

طريق التنازلات بلا نهاية، ومناورة سرحان ساذجة أكثر منها بارعة، فها هو طلبة يتبع المنهج - العزاء ليبايع الولايات المتحدة الأمريكية!.

قبل فترة قصيرة من ثورة يوليو، كان المناخ السائد، سياسياً واجتماعياً، ينبىء بضرورة وحتمية التغيير، وكان الإخوان المسلمون والشيوعيون هم المرشحون لقيادة المرحلة الجديدة. يقول سالم

جبر، المفكر اليسارى الأقرب إلى الفوضوية:

- لا يمكن أن تدوم الحال على هذا المنوال، فماذا عن الغد؟

فقال زهير كامل، المثقف والسياسى الوفدى:

- مازال الوفد أفضل الجميع وسيضطر الملك إلى استدعائه عاجلا اتقاء لانفجار ثورة شاملة!.

فقال سالم جبر:

- الثورة أفضل من الوفد..

فقال رضا حمادة، الوفدى المثالى المتألم:

- وفى الانتظار الإخوان والشيوعيون..

فقال زهير كامل بحدة:

- لا أغلبية لهؤلاء أو أولئك. «المرايا-١٠١»

لم يعد الاستمرار ممكنا، وبات الوفد عاجزا عن استيعاب وإشباع أجيال جديدة تتطلع إلى نموذج مختلف. الإخوان والشيوعيون فى الانتظار، و«الأغلبية» مفهوم نسبى مراوغ يستعصى على التحديد الصارم، والأقليات المنظمة تستطيع أن تهيمن وتسيطر وتسود.

الارتباك السياسى يجعل من سقوط النظام أمرا حتمياً لا يقبل المراجعة، والثورة العسكرية بديل للقوتين اللتين تنتظران فرصة مواتية للوثوب. بتعبير الدكتور زهير كامل، الذى تنكر للوفد وسار فى ركاب الثورة:

- إنها حركة مباركة منعت بقوتها الذاتية اشتعال ثورة لاحت مخالبها فى الأفق!

وإذ يعلق الراوى:

- يا لها من فكرة!..

يبادر الدكتور الانتهازى بالمزيد من الشرح والتحليل:

- وأعترف لك بأننى لست ثوريا، فكما لا أوافق على رجعية الإخوان فإننى لا أوافق أيضا على ثورية الشيوعيين، وأؤمن

بالإصلاح الرزين الذى نتأثر خطاه، وهو طريق الوفد أيضا لو قيض لجناح شبابه أن ينتصر.. «نفسه-١٠٢».

منطق الدكتور زهير لا يختلف عما يردده سرحان البحيرى بعد عدة سنوات، وكلاهما يرى أن ثورة يوليو تقف فى المنطقة الوسطى الآمنة بين رجعية الإخوان وثورية الشيوعيين، وهى قادرة على الإصلاح الذى لا يغرى بمزيد من الثورات، فهى ثورة بديلة للثورة!.

وفى المقابل، يعلق سالم جبر على محاربة ثورة يوليو للإخوان والشيوعيين بقوله: ها هم يقضون على القوى الإيجابية فى الأمة، فلا شيوعية ولا إخوانية ولا أحزاب، فعلى من يعتمدون فى تحقيق سياستهم؟. ولم يبق إلا الموظفون المأجورون وسيقيمون بنيانهم على قوائم من قش. «نفسه-١١٦».

الإخوان المسلمون جزء مهم من أجزاء المعادلة السياسية فى مصر، وقد تكفلت ثورة يوليو بإلغاء المعادلة، وقررت أن تستأثر بالساحة دون شريك!.

غياب الأغلبية عن الإخوان والشيوعيين لا يعنى أنهما متساويان فى النفوذ، فالإخوان هم الأقوى. الأكثر عددا، والأفضل تنظيماً وتماسكاً، وكثير من ضباط يوليو أنفسهم يميلون إلى الجماعة وخطابها الإسلامى الذى يرفض النظام الملكى، بقدر ما يعادى الوفد والشيوعيين.

فى هذا الإطار يبدى الإخوان المسلمون حماساً ملموساً لثورة ٢٣ يوليو فى بداياتها، بل يصل الأمر إلى شيوع التصور بأن الحركة العسكرية «إخوانية»، وفى عالم نجيب محفوظ ما يكشف عن سيادة المفهوم وانتشاره.

تحظى الثورة بتأييد محمد حامد برهان: عندما آمن بأن الحركة «إخوانية» بل قد دُعى إلى بعث النشاط من جديد فى شعبة حلوان.. «الباقى-٣٩».

إيمان محمد بإخوانية الحركة ليس اجتهادا فرديا، فالأمر يقترن بالتوجه القيادي للتنظيم، واستعادة النشاط والتهيؤ للعمل الإيجابي. وليس أدل على التداخل والامتزاج بين الإخوان وحركة يوليو من احتجاج الأب الوفدي على نشاط ابنه، وسرعان ما يستدعيه ليقدم النصيحة:

– ابعد عن الإخوان، حسبك ما أصابك نتيجة لانضمامك البرىء إليهم..

فقال محمد بدهشة:

– كيف أهجرهم بعد أن تُوج كفاحهم بالفوز المبين؟

فقال الأب كاظما غيظه:

– ما هي إلا حركة بلا جذور شعبية فلا تعرض نفسك لغضب الشعب كما تعرضت سابقا لغضب الحكومة..

فابتسم محمد في ثقة وقال:

– الماضي مات قبل أن تمتد يد لقتله..

واعتبرت الأسرة أن لها في الحركة الجديدة عضوا، وأنها تتحول به من أسرة مغمورة إلى أسرة حاكمة أو مشاركة في الحكم.. «نفسه–٤٠».

الإخوان وحركة الضباط كيان واحد عند الأب الوفدي، والانسجام بين الجماعة والثورة من الوضوح بحيث لا يغيب عن حامد برهان، المواطن الوفدي البسيط البعيد عن احتراف السياسة والوعي بأسرارها ودهاليزها. ومن ناحية أخرى، لا ينكر محمد أن كفاح الإخوان قد توج بالنصر، فكأنه يعترف ويفخر بإخوانية الثورة العسكرية، وتقييمه للماضي القريب لا يختلف عما يردده الضباط الأحرار الذين أطاحوا بنظام متهرىء كان في انتظار من يشهر إعلان موته!.

من حق الأسرة أن ترى في ابنها الشاب واحدا من الحكام الجدد،

وأن تراود من خلاله الصعود إلى قمة اجتماعية تتوافق مع طبيعة المتغيرات العاصفة. ومن حق محمد نفسه، على الرغم من أنه عضو عادى لا ينتمى إلى القيادة، أن يندمج مع أحلام السلطة ويتهيأ لها: وتطور محمد فى أحاديثه من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، فبات يقول سنفعل كذا وكذا. «نفسه-٤٠».

لم يكن محمد حامد وحده من آمن بإخوانية حركة يوليو، فالإخوانى الشاب سليم حسين قابيل يشاركه فى الإيمان، ولا يلتفت كثيراً إلى بوادر الاختلاف والتباين: ولما قامت ثورة يوليو كان فى المرحلة الثانوية فرحب بها بكل حماس كمنقذ من الضياع. وظن أنه بانضمامه إلى الإخوان إنما يندمج أكثر فى الثورة، فلما وقع أول تناقض بين الثورة والإخوان أبقاه قلبه مع الإخوان «حديث-١١٠».

ويسير صبرى صادق صفوان على الدرب نفسه: وظن صبرى يوماً أنه صاحب الثورة باعتباره إخوانيا.. «قشتمر-١٠٦».

محمد وسليم وصبرى من شباب الإخوان عند قيام الثورة، وثلاثتهم مقتنعون بأنها ثورتهم، وقناعتهم هذه مستمدة من دلائل عديدة لا تغيب عن أعداء الحركة والجماعة معاً.

عبدالوهاب إسماعيل مفكر إسلامى مرموق، ينضم إلى جماعة الإخوان ويشغل موقعاً قيادياً، وبعد ٢٣ يوليو ترشحه الأقاويل والإشاعات للمزيد من التألق والصعود: ويوماً كنت فى زيارة للأستاذ سالم جبر فقال لى:

- الظاهر أن نجم عبدالوهاب إسماعيل سيلمع قريباً..
- ماذا تعنى؟
- أصبح من المقربين.
- ككاتب سياسى أم ككاتب دينى؟
- باعتباره من الإخوان المسلمين.
- الإخوان؟.. لكننى عرفته سعدياً متطرفاً.

- سبحان الذى يغير ولا يتغير!. «المرايا-٢٠٧».

ينتقل عبدالوهاب إسماعيل، المعبر عن شخصية سيد قطب، من صفوف السعديين إلى القيادة الإخوانية، والعلاقة الوثيقة بين الثورة والتنظيم الإسلامى تدفع به إلى دائرة الضوء، وترشحه للصعود والتألق. الاختلاف قائم بين العسكريين والإخوان، والانسجام الظاهر بينهما لا يعنى الوحدة الكاملة والاندماج. ولعل عبدالوهاب نفسه هو من ينتبه وينبه إلى الصدام المحتمل عندما يقول عن الثورة: ثورة مباركة ولكن من العسير أن تعرف ماذا يريدون.. «نفسه-٢٠٧».

لم تعلن ثورة يوليو فى بداياتها عن توجه فكرى واضح، والانطباع الذى ترسخ عن ميولها الإخوانية لا يلزم عبدالناصر وضباطه بشىء. قد يكون الإخوان قريبين من الحركة ومتعاونين إيجابيين معها ومراهنين عليها ومتوهمين أنهم شركاء الضباط فى السلطة، لكن المنطق السياسى لايخضع للعواطف والأحلام، وسرعان ما يقع الصدام وتتبدل الأوراق وتتبخر المراهنات الذاتية والموضوعية التى راودت شباب وقيادات الجماعة: وكاد محمد أن يجزع وهو ينتظر أن تسفر الثورة عن وجهها فتعلن حكم الإسلام ليحتل هو مكانته المشروعة. ولم يكن طموحه شخصيا فقط فقد ملكته التجربة الدينية التى انساق اليها قديما هاويا وبمحض المصادفة، فبات يحلم بحكم الاسلام كأنه غاية الغايات. وإذا بأزمة تعترض سبيل الثورة، وصراع عنيف يقوم بين رئيسها الأول ورئيسها الثانى، وبين شد كادت تصفى به الثورة وجذب رجعت به الى قواعدها انقض طوفان لتصفية الإخوان! وبدلا من أن يجد محمد نفسه على رأس مؤسسة أو وزارة ألقى به فى أعماق سجن رهيب، وبالرغم من أنه لم تثبت عليه تهمة إلا أنه قضى فى الاعتقال عامين، وخرج منه بعين واحدة وساق عرجاء. «الباقى -٤٩، ٥٠»

الطموح ذاتى موضوعى: أحلام الصعود الفردية، والإيمان العقائدى الموضوعى. ولأن جماعة الإخوان ليست دينية خالصة ولايمكن أن تكون، فهى سياسية دنيوية فى المقام الأول، ولأن حساباتها وتحالفاتها لاتخلو من الخلل والمراهنة غير الدقيقة على الجناح الأضعف فى الثورة الوليدة، فإنها تدفع ثمنا فادحا ويتعرض شبابها وقادتها للمطاردة والاعتقال والتنكيل. الصدام مع عبدالناصر سياسى لاعلاقة له بالدين، وإدانة الجماعة لعبدالناصر قد تكون صحيحة ومبررة، شريطة أن يتم ذلك فى إطار سياسى. لكن المشكلة الرئيسية أن الإخوان يخلطون الأوراق عمدا، ويرون أنفسهم ضحايا لأنهم «مسلمون» وليس لأنهم يعملون فى السياسة، ويصلون بذلك إلى اتهام عبدالناصر فى دينه وليس فى مواقفه السياسية!. تعرضت معظم الاتجاهات والقوى السياسية للأذى والاضطهاد فى الحقبة الناصرية، والإخوان جزء من المنظومة العامة، لكنهم يأبون إلاأن يجعلوا من حركتهم مرادفا للدين!.

المصير الذى تعرض له محمد حامد، لم ينج منه سليم حسين قابيل وصبرى صادق صفوان، وعبدالوهاب إسماعيل وآخرون.

كان سليم من المتهمين فى قضية الإخوان الكبرى، وحُكم عليه بعشر سنوات. «حديث -١١١»

وقبض على صبرى صادق وقُدم إلى المحاكمة: غير أنه كان من القلة التى برئت ساحتها، وفقد ثقته فى كل شىء، وفى اللحظة المناسبة هرب إلى السعودية والتحق بعمل مناسب فى شركة مقاولات.. «قشتمر-١٠٧»

وإلى السعودية أيضا يهرب الشقيقان الإخوانيان، وحيد وبكر، فى قصة «أسعد الله مساءك». «صباح-١٣٨»

ولاينجو قادة التنظيم من المحنة التى تعرض لها الشباب، وكأنما يعزى محمد حامد نفسه عندما يقول: إنى أحسن حظا ممن

أهلكتهم المشانق أو غيبتهم السجون إلى الأبد. «الباقى-٥٠»

لقد قبض على عبدالوهاب إسماعيل فيمن قبض عليهم من أعضاء الجماعة: وقدم للمحاكمة فحكم عليه بعشرة أعوام سجن «المرايا-٢٠٧»

لم يدم شهر العسل طويلا بين الإخوان والثورة، وقدرى رزق من ضباط يوليو المخلصين لكل ما تتخذه الثورة من قرارات وما تتبعه من سياسات، وهو أفضل من يعبر عن موقف سلطة يوليو من خصومها السياسيين: وحلت الأحزاب وضرب على أيدى الإخوان والشيوعيين، وكان قدرى يتحمس لكل إجراء بلاقيد ولا شرط، حتى سألته مرة:

-ولكن من أنتم؟

فضحك، وتفكر مليا، ثم قال:

- نحن أصدقاء الوطنية والعروبة والثورة وأعداء الفساد والتعصب والإلحاد!. «نفسه -٢٦٦»

الفساد يتمثل فى الأحزاب القديمة، والإخوان هم المتعصبون، والشيوعيون هم الملحدون!.

تنتج الثورة برنامجها الخاص وتجتهد فى تطبيقه، ولا تتسع الساحة لأصحاب الأفكار المختلفة من اليمين واليسار. ونجحت الثورة فى احتواء الجيل الجديد الذى نشأ فى أحضانها ولم يعرف غيرها، وينتمى صبرى جاد، المتخرج فى الجامعة سنة ١٩٦٧، إلى جيل يوليو الخالص. يسأله المفكر التراثى عباس فوزى:

- ألا يوجد بين الطلبة إخوان مسلمون؟

- كلا.. أو عدد لاوزن له. «نفسه-١٥٨»

تراجعت شعبية الإخوان ومكانتهم، بفضل الزعامة الأسطورية لعبدالناصر من ناحية، وبفعل الإجراءات الأمنية العنيفة من ناحية أخرى. وتقدم «الكرنك» شهادة مهمة عن المتابعة الصارمة

لبقايا الإخوان والمتعاطفين معهم، وقد قبض على إسماعيل الشيخ، ذى الولاء الكامل للثورة وزعيمها، بتهمة الانتماء للإخوان، ولا يُفرج عنه إلا بعد التأكد من براءته: ثبت أن اسمك دون فى السجل لأنك تبرعت بقرش لبناء جامع ودون أن تكون لك صلة بهم. «الكرنك -٥٦»

غُيب الإخوان فى السجون الناصرية معظم سنوات الثورة ، ولم يبدأ الإفراج عنهم إلا فى عهد الرئيس السادات. ولأن نجيب محفوظ حريص على تقديم الموقف الإخوانى من المرحلة الناصرية، فإنه يحتفظ بالإخوانى محمد حامد برهان بعيدا عن السجون والمعتقلات. أفرج عنه فى منتصف الخمسينيات بعد اعتقال عامين، فقد خلالهما ساقه وعينه، وعاد ليمارس عمله فى المحاماة دون أن يتورط فى انتماء تنظيمى يهدد حريته: وغشى المحاكم وهو يعرج متأبطا حقيبته بذراع متوكئا بالأخرى على عصا غليظة. وانهمك فى عمله انهماك مؤمن معذب يحلم بطوفان نوح من جديد. «الباقى-٥٢»

عبر صفحات الرواية، يشن محمد هجوماعنيفا قاسيا على السلطة الناصرية، ويعلق ساخرا متهكما على جميع المواقف والقرارات المهمة التى تتخذها الثورة. وكأنما يبرر محفوظ مثل هذه الحرية المفرطة فى التعبير، التى تقود إلى الهلاك فى ظل حكم شمولى متهم بالقمع وبث الخوف فى نفوس الجميع، عندما يقول: وفى حماية العلاقة الأسرية نشبت مناقشات صريحة بين محمد وسليمان بهجت.. «نفسه-٦٠»

الأسرة تضم واحدا من المحسوبين على الثورة والجانين لثمارها، فشقيق سليمان من ضباط يوليو أصحاب النفوذ، وسليمان هو الطرف الثانى فى الحوارات الصاخبة التى تنم عن حرية تناقض ما يؤخذ على العهد الناصرى من قهر، والتفسير المطروح أنها حرية

استثنائية فى حماية العلاقة الأسرية!.

محمد حامد برهان هو صوت الإخوان المسلمين فى عالم نجيب محفوظ، والمعبر عن مواقفهم السلبية تجاه كل إنجازات وقرارات عبدالناصر. المعارضة دائمة لا تتوقف، والتأييد غائب لايطل، والموضوعية لا موضع لها ولامكان.

تأميم قناة السويس لا يترك أثرا: ولم يستطع محمد أن يتذوق المغامرة بفمه المليء بالمرارة. «نفسه -٥٣»

لا يعترض على القرار الذى يحظى بتأييد شعبى جارف، لكنه يتحفظ على المناخ العام الذى صدر فيه: النبى عليه الصلاة والسلام أنشأ دولة إنسانية ولم يشيد هرما. «نفسه -٥٤»

والعدوان الثلاثى أقرب عنده إلى الخلاص فادح الثمن: انتهت حركة المجرمين، ولكن ما أفدح الثمن!. «نفسه -٥٤»

سعادته طاغية بقرب سقوط النظام، والحسرة الضئيلة من الثمن المدفوع للتحرر من المجرمين!.

تجاوز النظام الناصرى أزمة التأميم والحرب، واكتسب عبدالناصر شعبية أسطورية، مردها عند محمد إلى المناهج التعليمية وما تبثه من زيف: إنهم يحشون عقول الأولاد بالأكاذيب. «نفسه-٥٦»

لا يملك أن يتدخل لتصحيح المفاهيم وتقديم الحقائق الغائبة كما يتصورها، فالحرية لا موضع لها، والصمت حتمى حتى يتجنب الأذى، نحن فى زمن القهر والصمت!. «نفسه-٥٧»

وليس أدل على المناخ المغلف بالكبت من قوله: حتى أمام الابن لا يأمن الأب أن يفضى بذات نفسه. «نفسه-٦٠»

ويتجسد الموقف السلبى من القرارات الاشتراكية و التوجهات الاجتماعية المنحازة للفقراء، فى النصيحة التى يقدمها محمد حامد لشقيقته الثرية: اسحبى نقودك من البنك واحفظيها تحت

يدك قبل أن يشمها الوحش. «نفسه-٦٢»

ومن منظور إسلامى، يأخذ على رموز النظام وقادته ما يتعلقون به من أساليب الترف والبذخ:

- ماهى إلا قرصنة، وإلا فلماذا يعيشون عيشة الملوك؟!.

وإذ يعلق سليمان بهجت مدافعا:

- حتى فى روسيا يعيشون كذلك!

يرد محمد مقدما النموذج البديل:

- رحم الله ابن الخطاب!. «نفسه -٦٣»

ويشن حملة عنيفة على الموقف المصرى من ثورة اليمن:

- أصبحنا أوصياء على ثورات العالم!

ويتهكم على قرار التدخل العسكرى:

- كأنه قرار إسرائيلى!. «نفسه -٦٤»

ويسخر من «نزهة» اليمن التى انقلبت إلى متاهة دموية متعطشة لدماء الأبطال وأموال الفقراء:

- أسمعت مايُقال عن أغنية أم كلثوم «أسيبك للزمن»؟.. يُقال إن الأصل هو «أسيبك لليمن»!

وإذ يقول سليمان بازدراء:

- اشمتوا كيف شئتم بدماء الأبطال..

يتساءل محمد جادا:

- أيرضى عاقل بذلك وعلى حدوده عدو كإسرائيل؟ «نفسه-٦٩»

وعندما تلوح نذر حرب ١٩٦٧، يتساءل من جديد: وجيشناموحول فى اليمن؟!. «نفسه -٨٦»

ويتوقف محمد كثيرا أمام العلاقات المصرية السوفيتية، ويأخذ على الثورة تعاونها مع الشيوعيين الملحدين!.

يفخر سليمان بهجت بالقوة العسكرية المصرية، فيعلق محمد: بفضل الملحدين!. «نفسه -٦٩»

وفى أعقاب هزيمة ١٩٦٧، يحمل محمد على الاتحاد السوفيتى والشيوعيين المصريين من «أذنابه»: ما نحن اليوم إلا اقليم تابع للاتحاد السوفيتى. لم تنتصر إسرائيل والولايات المتحدة فقط، ولكن الاتحاد السوفيتى انتصر أيضا. أذنابه يقولون اليوم بكل قحة إن الاشتراكية أهم من سيناء. «نفسه -٩٢»

لايخفى محمد شماتته فى هزيمة ١٩٦٧، ولا يميز بين محنة الوطن وهزيمة النظام، ويبدى دهشة ساخرة من المظاهرات التى تطالب عبدالناصر بالبقاء وترفض تنحيه عن السلطة: وتخرج الجموع للتمسك به بدلا من المطالبة بمحاكمته؟. «نفسه -٩١»

الموقف الإخوانى من الحقبة الناصرية، كما يعبر عنه محمد، يتجسد فى عدة محاور رئيسية:

- الرفض الكامل لكل الإنجازات الوطنية والاجتماعية.
- إدانة بلا حدود لقمع الحريات وغياب الرأى المعارض.
- الاعتراض على المغامرة العسكرية فى اليمن.
- الحملة الشعواء على العلاقة مع الاتحاد السوفيتى الملحد!.

وقد كانت هزيمة ١٩٦٧ بداية النهاية للنظام الناصرى وزعامة عبدالناصر، ومثلما يظهر الإخوان فرحتهم وشماتتهم، فإنهم يصرون على استمرار الشماتة عند موت عبدالناصر، ولايراعون جلال الموت.

لايصدق محمد ما يقال عن موت الزعيم: وخشى أن يكون وراءه شرك لجر الأعداء إلى المعتقل، وعندما يتأكد الخبر، وتتبخر مشاعر الذهول، تطل الفرحة الغامرة وتسيطر مشاعر الراحة لزوال العدو الأكبر: شعر بأنه يولد فى عالم جديد. شعر بالقيود تنحل من حول عنقه ويديه وقدميه. شعر بأن وزنه يخف وأن نسائم الأمان تهفو إلى وجدانه. وسرعان ماإجتاحه ارتياح عميق، وملأه حبور قوى لا حيلة له فيه فأخفاه خلف جفنيه المسدلين وتمادى به

الحبور فاستغفر الله فى سره وخاف أن يفلت منه الزمام فيفشى عليه. «نفسه-١٢٦»

هل يمكن أن يصل العداء السياسى إلى هذه الدرجة من التنكر للمشاعر الدينية والإنسانية فى مواجهة الموت؟!. العداء متبادل وعنيف، والمآخذ الإخوانية على الحقبة الناصرية لا تخلو من وجاهة، ولكنهم يغالون ويتطرفون ويخلطون الأوراق. الشماتة فى موت عبدالناصر لا تقتصر على محمد وحده، فسليم حسين قابيل يظهر المشاعر نفسها: ولما رحل زعيم الثورة داخله شىء من الطمأنينة. «حديث-١١١»

ولا يمثل موت عبدالناصر نهاية لعداء الإخوان المتطرف، وعداؤهم يتجسد فى مباركة الانقضاض على العصر الناصرى، والمشاركة فى حملة النقد التى تطول كل شىء. تتساءل منيرة، فى سياق الاعتراض على طوفان النقد للزعيم الراحل:

- هل ننسى القضاء على النظام الملكى، والجلاء، والإصلاح الزراعى، والتأميم، وتمصير الاقتصاد، والقومية العربية؟!.

فيرد محمد متهكما:

- سيعترف له المستقبل بفضل واحد باعتباره منشىء الامبراطورية الإسرائيلية!. «نفسه -١٤٦»

التقييم الموضوعى غائب، والتحامل متطرف أحادى النظرة، بل إن أزمات عصر السادات تنسب- بلامنطق- إلى الرئيس الراحل: كل ما نعانى من شر فمن صنع يديه.. «نفسه -١٥٩»

العداء سياسى وشخصى، وعندما يشتد غضب محمد على ابنته، يقول لها فى عفوية دالة: لم يؤذنى أحد فى حياتى.. باستثناء عبدالناصر.مثلما آذيتنى!. «نفسه -١٦٨»

فرحة النجاة من الحكم الناصرى، تقود الإخوان إلى موقف مختلف تجاه السادات، والسادات بدوره كان فى حاجة إلى التنسيق

معهم والتعاون ضد أخطار مشتركة!.

الإخوان والسادات والتيارات الدينية الجديدة

الإخوان والسادات

فى «أمام العرش»، يقدم نجيب محفوظ مجموعة من الحوارات مع زعماء مصر من مينا حتى أنور السادات. واللافت للنظر أن السيرة الموجزة التى يقدمها السادات عن نفسه،منذ الميلاد إلى الاغتيال، تتضمن إشارة صريحة مباشرة عن علاقته القديمة المبكرة مع جماعة الإخوان المسلمين: وقد اتصلت بالإخوان المسلمين وأعجبت بنشاطهم. «أمام –١٩٩»

تاريخ الاتصال والإعجاب يعود إلى نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين، ولم يكن السادات وحده من سعى إلى التواصل مع الإخوان، فكثير من ضباط يوليو ربطتهم صلات متفاوتة مع التنظيم الإسلامى القوى. تجربة الإخوان المأسوية الدامية مع عبدالناصر، والتى توقفناعندها تفصيلا فيما قبل، هيأت الجماعة للترحيب بقيادة السادات على المستويين الذاتى والموضوعى. على المستوى الذاتى يأنسون إليه ويراودون مودته، وعلى المستوى الموضوعى فإنهم يناصبون العهد السابق له كل العداء، ولا يتوقعون الأسوأ فى التجربة الجديدة. تتجسد هذه الرؤية فى مقولة الإخوانى محمد حامد برهان، بعد ساعات قليلة من رحيل عبدالناصر: ليس فى الإمكان أسوأ مما كان!. «الباقى–١٢٧»

موقف الإخوان المسلمين من السادات لايمكن أن يُفهم بمعزل عن موقفهم من عبدالناصر، وجزء كبير من تعاطفهم السريع مع الرئيس الجديد مردود إلى عدائهم المتطرف للرئيس الراحل. وإذ تحتج الناصرية منيرة على سياسة السادات وممارساته المغايرة

لماكان ينتهجه عبدالناصر، وتقول بامتعاض:

- صدقونى أنه لن يقنع بتصفية السلبيات الماضية، ولكنه سيلحق بها الإيجابيات أيضا.

يرد شقيقها محمد باسما:

- قولى ما شئت، فالحق أنه لاوجه للمقارنة بين ما كان وما هو كائن. «نفسه-١٣٧»

الإخوان لا يعترفون بوجود إيجابيات حقيقية فى حقبة عبدالناصر، ولا وجه للمقارنة عندهم بين ما كان وما هو كائن. الكراهية المتطرفة لجمال عبدالناصر عامل موضوعى يرفع من أسهم السادات تلقائيا، وفضلا عن ذلك فثمة عنصر ذاتى يتعلق بشخصية السادات نفسه.

الإخوانى سليم حسين قابيل لا يخفى ارتياحه لحكم السادات: وأنس فيه مودة ورحمة. «حديث -١١١»

السادات ليس إخوانيا بطبيعة الحال، والإخوان المسلمون ليسوا تابعين للسادات او مخلصين له بلا حدود، فالأمر لا يتجاوز التنسيق والتحالف المؤقت الذى يحقق مصلحة عاجلة للطرفين. الانتصار للسادات نكاية فى عبدالناصر، لا يعنى الأمان الكامل والثقة العمياء، وإذ يقول أحد الإخوان لزميله محمد حامد برهان:

- الرئيس الجديد صديق.

يرد محمد بحذر:

- ليكن اعتمادنا على أنفسنا. «الباقى -١٣٠»

السادات أفضل من منظور الإخوان، لكن الحذر واجب، والاعتماد على النفس حتمى، والثقة المطلقة ليست واردة، والأهداف مختلفة متباينة مع الإقرار بالتوافق المؤقت.

لم تكن المعادلة السياسية الجديدة غائبة عن الأطراف الأخرى فى الساحة السياسية المصرية، وليس أدل على ذلك من الموقف

اليسارى المضاد للسادات والإخوان معا. الشاعر الناصرى طاهر عبيد يسىء الظن بالسادات: وعده عميلا لجميع القوى الرجعية فى الداخل والخارج. «قشتمر-١٢١»

إذا كانت العمالة للرجعية الخارجية تقود إلى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، فلاشك أن المقصود بالعمالة للرجعية الداخلية ينبىء عن الإخوان المسلمين!.

كان السادات جديرا بإعجاب الإخوان المسلمين وترحيبهم: من ناحية لأنه جاء فى أعقاب عبدالناصر الذى يناصبونه العداء ويكنون له كراهية بلا حدود، ومن ناحية أخرى لأنهم يراهنون على توجهه المختلف ويسعون إلى الإفادة منه.

يمثل محمد حامد برهان نموذجا لتعاطف الإخوان مع السادات، وحماسهم المتطرف فى الدفاع عن سياساته وتبرير أخطائه.

عندما يُقتل الماركسى الشاب عزيز صفوت فى مظاهرة طلابية معادية للسادات، لا ينشغل المحامى الإخوانى، ذو الحملات القاسية اللاذعة ضد عبدالناصر وانتهاكاته للحريات، إلا بالتساؤل الغرائبى عن أسباب وجود القتيل فى المظاهرة:

معروف أنه انقطع عن الدراسة، فماذا دسه بين المتظاهرين من الطلبة؟. «الباقى-١٣٤»

هل يعنى السؤال أن قتل المتظاهرين من غير الطلبة فعل مبرر مقبول؟!. ألا يُفهم من سؤاله الاستنكارى أن القتيل مسئول عن مصيره، ولا ذنب لنظام السادات فيما يجرى له؟!.

لا ينزعج محمد من الممارسات القمعية التى تطول قوى سياسية غير إخوانية، ويستمر فى دفاعه العاطفى عن السادات مع الهجوم العنيف على عبدالناصر:

- إنه عهد أمان بعد خوف، وقانون بعد فوضى..

وإذ تعلق شقيقته منيرة ساخرة:

- تجلت وحشيته فى قمع المظاهرات!

يتشبث الإخوانى العتيد بدفاعه الذى لايخلو من فتور كاشفا بذلك عن شعوره الداخلى بالأزمة الطاحنة التى يستشعرها فى أعماقه:

-حال استثنائية، والموقف يتطلب الحزم. «نفسه-١٣٦»

أى منطق يخلو من القدرة على الإقناع؟!. أليس أن قمع الإخوان واضطهادهم، فى أى عصر، مما يمكن تبريره بوجود الظروف الاستثنائية التى تستوجب الحزم؟!. محمد نفسه لا يقتنع تماما بما يردده، لكنها الكراهية الأصيلة للأعداء اليساريين من ناحية، والرغبة الملحة فى تجميل النظام والتستر على أخطائه وخطاياه من ناحية أخرى.

فى الإطار نفسه يأتى دفاع محمد عن سياسة الانفتاح الاقتصادى التى اتبعها السادات، فارتفعت الأسعار وازدادت معاناة الفقراء وتعرض «المستورون» من أبناء الطبقة الوسطى لشبح الفقر:

- نحن نوافق عليه ضمن خطة الإنتاج.

وترد عليه الناصرية منيرة فى تساؤل متهكم:

- وهل توافق على ذلك الصقور المتحفزة؟. «نفسه -١٤٧»

يعى محمد جيدا أن سياسة السادات الاقتصادية لاعلاقة لها بالإنتاج، ويدرك تماما أن صقور النهب والفساد من نجوم المرحلة لا يفهمون الانفتاح كما يريد أن يفهمه، لكنه يتشبث بالسادات ويأبى إلا أن يجمل عهده ويبرر سياساته. يفعل ذلك وهو يعانى كما يعانى الآخرون، ويكابد قسوة الغلاء وانقلاب القيم وتبدل الأحوال إلى الأسوأ!.

تأييد الإخوان للسادات لايصدر عن اقتناع كامل ومبدأ أصيل راسخ، فهم يرون فيه حليفا مفيدا يعينهم فى تحقيق أهدافهم والوصول إلى غاياتهم، فضلا عن مشاركتهم فى الانتقام من

عبدالناصر وتصفية الحسابات مع عهده. وثمة عبارة بالغة الدلالةيقولها محمد في إيجاز، فيكشف بها عن جوهرالموقف الإخواني: إني راض عن الرئيس الحالي باعتباره التمهيد لدولة الإسلام!. «نفسه -١٦٠»

الإخوان المسلمون وحدهم هم القادرون على تشييد دولة الإسلام، والسادات يمهد لهم ولاينوب عنهم. ولا يخفى محمد قلقه عندما يطول التمهيد أكثر مما قدر: لم يكن في يوم من الأيام أقرب إلى هدفه كما هو اليوم، ومع ذلك قال بأسى: .

- حتى الشيوعيون لهم حزب أما نحن فلا حزب لنا!. «نفسه- ١٧٩»

ليس صحيحا أن للشيوعيين المصريين حزبهم العلني، وحزب التجمع الذي يعنيه ليس شيوعيا، والمفارقة لافتة في الحنين إلى الحزب على الرغم من أن الإخوان لايملون من التأكيد على عدائهم للحزبية ورفضهم لها، لكن المقولة تكشف عن اللهفة إلى المزيد من الوجود المؤثر الفعال، تمهيدا للوصول إلى السلطة وإقامة الدولة الدينية.

الإخوان يرون السادات قنطرة تمهد لتحقيق برنامجهم والقفز إلى هدفهم الأسمى، والسادات من ناحيته لم يكن يرى فيهم إلا حليفا مفيدا يعينه في مواجهة عتاة معارضيه، ومن البدهي أن يدب الخصام ويبدأ الصدام بعد أن تنتفي المصلحة المشتركة ويعز التوافق.

كانت مبادرة السلام بداية النهاية في علاقة الانسجام والتنسيق المشترك بين الإخوان والسادات، ذلك أنهم لايملكون الدفاع عن توجهه الصادم الذي يتعارض جذريا مع شعاراتهم وأفكارهم.

ينسى سليم حسين قابيل ما كان يردده عن المودة والرحمة في حكم السادات: ودهمه مادهم زمرته من غضب لمغامرة السادات

الكبرى فى سبيل السلام، وارتد مرة أخرى إلى عنفوان السخط والتمرد، حتى صدرت قرارات سبتمبر ١٩٨١، ورمى به فى السجن من جديد. ولما وقع حادث المنصة قال:

- عقاب إلهى لحكم كافر. «حديث-١١٢»

الحكم «الكافر» هو ما كان يحظى بالتشجيع والتأييد والمباركة، لكن اختلاف الحسابات «السياسية»، لا «الدينية»، ينتقل بالإخوان إلى النقيض، والخطير فى التحول أن تطل مفردة مثل «الكفر» فى سياق الحديث السياسى، فكأن الإخوان وحدهم من يحتكرون الإيمان ويوزعون صكوكه، وكأنهم وحدهم أيضا من يملكون القدرة على التمييز بين المؤمنين والكافرين!. قد تكون المعارضة السياسية للسادات حقاوواجبا، لكن لغة «التكفير» تقود إلى مأساة المنصة، وهى مأساة أسهم الضحية وحلفاؤه الإخوان فى صناعتها.

لم يكن انقلاب محمد حامد برهان أقل ضراوة، فمن كان يدافع عن قمع المظاهرات الطلابية اليسارية، ويجمّل سياسة الانفتاح الاقتصادى ويتغاضى عن آثارها المدمرة، هو نفسه من يصطدم بمبادرة السلام ويرفضها بلا هوادة:هذه هى الثغرة التى لا انسداد لها. «الباقى-١٨٠»

وهو من يقول فى يقين رافض لفلسفة السادات من جذورها:

الجهاد لا يعتل بالعلل، والحق كالشمس. «نفسه-١٨١»

وهو من يعلق على اتفاقية «كامب ديفيد» متهكما: ماهى إلا كارثة، ولانجاة إلا بالإسلام!. «نفسه-١٨٨»

اختلفت الأهداف والرؤى والاجتهادات فتباينت الطرق، وانقلب السادات من صديق حليف إلى عدو مقيت يبارك الإخوان اغتياله ويرون حكمه كافرا!. لقد أسهموا فى صناعة المناخ العاصف الذى أطاح بالسادات، أو كما يقول الرئيس نفسه فى شهادته «أمام العرش»: انحرفت المعارضة، وهب التيار الدينى يهدد البلاد

بالعنف، فوقفت من الجميع موقفا حازما لامفرمنه، ولكن الأمور انتهت باغتيالى.. «أمام-٢٠٠»

جاء الاغتيال بعد شهر واحد من قرارات سبتمبر التى عصف فيها السادات بكل خصومه دون تمييز، وكشف عن هويته الحقيقية المعادية للديمقراطية. التيار الدينى الذى يشير إليه لا يقتصر على الإخوان المسلمين وحدهم، والاتجاهات والتنظيمات المتطرفة الجديدة لا تنتمى إلى الإخوان، لكنهم لا ينفصلون جذريا عن التنظيم الأم. هذه الاتجاهات تمثل امتدادا ومنافسا، والوعى الكامل بجماعة الإخوان وطبيعة عصرالسادات لن يكتمل بمعزل عن التوقف أمام التيارات الدينية الجديدة: جذورها وأفكارها وممارساتها وعلاقاتها مع الإخوان.

التيارات الدينية الجديدة

سيد قطب، المفكر الإسلامى المعروف والقيادى الإخوانى البارز الذى أعدم فى الحقبة الناصرية متهما بالتآمر على قلب نظام الحكم، من أهم الآباء الروحيين لتيارات التطرف و العنف التالية والمنافسة للإخوان المسلمين، فقد خرجت هذه التيارات من معطف الحركة و تمردت على توجهاتها واتخذت سبيلا مختلفا، أسهم بشكل فعال فى عملية التغيير التى قادها السادات وانتهت باغتياله، على أيدى صنائعه ومباركة حلفائه، فى حادث المنصة.

يقدم نجيب محفوظ شهادة مهمة عن طبيعة أفكار المرحلة الأخيرة فى حياة سيد قطب، من خلال شخصية «عبدالوهاب إسماعيل» فى رواية «المرايا».

فى حواراته مع الأستاذ رجاء النقاش، يؤكد نجيب محفوظ أن: سيد قطب هو أول ناقد أدبى التفت إلى أعمالى وكتب عنها،

ويضيف: وكانت العلاقة التى تربطنا أدبية أكثر منها إنسانية. «صفحات ٣٢٨»

ويرصد نجيب ماطرأ على أفكار الرجل من تغيير عميق بعد انخراطه فى صفوف الإخوان المسلمين، والإفراج عنه بعد قضاء عقوبة السجن: لقد رأيت أمامى إنسانا آخر، حاد الفكر، متطرف الرأى، ويرى أن المجتمع عاد إلى الجاهلية الأولى، وأنه مجتمع كافر لابد من تقويمه بتطبيق شرع الله انطلاقا من فكرة «الحاكمية». وسمعت منه آراءه دون الدخول معه فى جدل أو نقاش حولها، فماذا يفيد الجدل مع رجل وصل إلى تلك المرحلة من الاعتقاد المتعصب. «نفسه-٣٢٨»

ويختتم نجيب ذكرياته عن سيد قطب بقوله: ولتأثرى بشخصية سيد قطب وضعتها ضمن الشخصيات المحورية التى تدور حولها رواية «المرايا» مع إجراء بعض التعديلات البسيطة. ولكن الناقد المدقق يستطيع أن يدرك أن تلك الشخصية فيها ملامح كثيرة من سيد قطب. «نفسه -٣٢٩»

عبدالوهاب إسماعيل فى «المرايا»، مع تعديلات بسيطة غير جوهرية، يعبر عن شخصية سيد قطب التى عرفها نجيب عبر أطوار مختلفة، ويجسد التحولات الهائلة التى مر بها المفكر المعروف منتقلا من مجال الإبداع الشعرى والنقد الأدبى إلى التبشير بالأفكار المتطرفة وتكفير المجتمع الجاهلى!.

بعد الإفراج عنه يزوره الراوى، ويستمع إلى آرائه وأفكاره الجديدة المتطرفة فى جميع مناحى الحياة، والتى تمثل زادا فكريا لجيل جديد من الشباب، بدأ مع الإخوان ثم انشق عليهم وغالى فى أفكار التطرف وممارسات العنف.

يرى عبدالوهاب/ سيد قطب أن القرآن يجب أن يحل مكان كافة القوانين المستوردة، ويحمل بعنف على الاشتراكية والوطنية

والحضارة الغربية، فهى: خبائث علينا أن نجتثها من نفوسنا.
ولاينجو العلم من حملته الشعواء:لن نتميز به، نحن مسبوقون فيه وسنظل مسبوقين مهما بذلنا، لارسالة علمية لنا نقدمها للعالم، ولكن لدينا رسالة الإسلام وعبادة الله وحده لارأس المال ولا المادية الجدلية. «المرايا -٢٠٨»

إعدام سيد قطب لا يعنى نهاية أفكاره، وقد جاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧ لتصنع مناخا مختلفاعما كان سائدا قبلها، ويمثل الدين أداة نجاة، على المستويين الذاتى والموضوعى، عند كثير من أفراد الشعب المصدومين، الذين فقدوا توازنهم الفكرى والنفسى بعد الكارثة غير المتوقعة.

شيوخ «الكرنك» بعيدون عن العمل السياسى، ولا علاقة لهم بالأفكار اليسارية واليمينية المعارضة لتوجه النظام الناصرى، وجاء انفعالهم بالهزيمة فى صورة حنين جارف إلى الماضى وقيمه الغائبة فى واقعهم: وما لبثوا أن رجعوا إلى الوراء أكثر وأكثر حتى استقروا فى عهد ابن الخطاب والرسول، فتنافسوا فى نبش الماضى يستخرجون أمجاده يتسلون بها عن حاضرهم. «الكرنك-٤١»

ومن المنطقى أن يتفاعل الشباب فى المرحلة نفسها مع واقع ما بعد الهزيمة، وتبدأ موجة من التساؤلات الحائرة عن أسباب الأزمة وكيفية الخروج منها:وفى الجامعة دهمهم جو فائر بالبلبلة صاخب بالأصوات الجهيرة المتضارية. الدين.. الدين.. الدين، ما انتصرت إسرائيل إلا بالتوراة فالحرب يجب أن تكون بالقرآن. الماركسية.. الماركسية.. الماركسية، هى التى تقتلع مجتمعا متهرئا من جذوره الخرافية لتشيد فوق أنقاضه مجتمعا علميا عصريا. العلم.. العلم.. العلم.. ما انتصرت إسرائيل إلا بالتكنولوجيا، وأملناالحقيقى فى العلم والتكنولوجيا.. الديموقراطية.. الديموقراطية.. الديموقراطية، فما خسف بنا الأرض إلا الاستبداد. الناصرية..

الناصرية.. الناصرية، وماعليها إلا أن تخلص لمبادئها حتى نخلص لها. دوامة لا تسكن ولا تهدأ، والقلوب ثقيلة، والأنفس مريرة، والأفق متجهم. «الباقى -٩٦»

الدين والماركسية والعلم والديمقراطية والناصرية، مجموعة من المفردات المهمة التى تتبىء عن تيارات جديدة ساخطة، تنبش فى الجذور وتتطلع إلى المستقبل وترفض كل المسلمات الآسنة التى أفضت إلى الواقع المرير المتجهم.

كان الإخوان المسلمون بمثابة الاتجاه الأقوى فى تجسيد الرؤية الدينية السياسية خلال ثلث قرن قبل هزيمة ١٩٦٧، واصطدموا عبر هذه المرحلة مع نظام يوليو والنظام الاسبق لها. لا يخفى الإخوان الذين يقدمهم نجيب محفوظ شماتتهم فى هزيمة الوطن، ذلك أن الهزيمة عندهم من نصيب نظام عبدالناصر فى المقام الأول، ودليل ساطع يؤكد مصداقيتهم بقدر ما يجسد الفشل الذريع للناصرية التى حاربتهم وأقصتهم عن ساحة العمل السياسى.

سليم حسين قابيل، يعتبر الهزيمة الكبرى: عقابا الهيا على حكم كافر. «حديث-١١١».

ويعلق محمد حامد برهان على الهزيمة بقوله: ما هو إلا بناء من الورق يقوم على الكفر والفساد. «الباقى -٨٨»

ويسخر محمد من مظاهرات التاسع والعاشر من يونيو، التى تمسكت بعبدالناصر بعد قراره بالتنحى عن السلطة:

– وهل يطمع العدو فيمن هو خيرمنه؟!.

ثم يواصل حملته على الزعيم والنظام معا:

– أعترف لكم بأننى سررت أيضا لبقائه، أجل، يجب أن يبقى على رأس الخراب الذى تسبب فيه، ليعانى معنا، وليتحمل مسئولية إصلاحه، هذا خير من الهرب إلى الخارج والتمتع بحياة أصحاب الملايين!. «نفسه-٩١»

العداء «السياسي» يختلط بلغة التكفير «الديني» عند سليم ومحمد، فالحكم «كافر» عند الأول، ويقوم على «الكفر» والفساد عند الثاني. وفضلا عن ذلك، يتطرف محمد في الشماتة كأنه سعيد بالهزيمة، وعاجز عن الفصل بين كراهية عبدالناصر وكرامة الوطن!.

من أفكار سيد قطب المتطرفة، حيث تكفير المجتمع والدعوة إلى القطيعة الكاملة مع العلم ومعطياته، وممارسات الإخوان المراهقة التي تخلط بين النقد السياسي والتكفير الديني، نشأ جيل جديد مهيأ للمزيد من الأفكار المتطرفة والممارسات الإرهابية، وتوافقت توجهاته مع رغبة السادات في تصفية خصومه من اليساريين. الإخوان المسلمون، مع تشددهم وتعنتهم، لا تمكن مقارنتهم مع ابناء التيارات الجديدة الأكثر تطرفا في الفكر والسلوك، وفي قصة «صباح الورد» يقدم نجيب محفوظ نموذجا متكاملا لواحد منهم، شكري سامح.

التحق شكري بكلية الطب في السبعينيات، وعلى الرغم من لا دينية أبيه وأمه، فإنه ينخرط في صفوف الجماعات الإسلامية المتطرفة، ويكشف حواره مع أبيه عن عمق التغيير الذي لحق به. يأخذ عليهما أنهما لا يصليان ولا يصومان ويشربان الخمر مع ضيوفهما، وصولا إلى الذروة حيث تعلو النبرة الاتهامية:

- ألستما مسلمين؟
- طبعا.
- المسلم ليس مجرد اسم ولكنه عقيدة وسلوك.
- المسلم مسلم في جميع الأحوال.
- كلا.. إما أن تكون مسلما أو لا..
- هذا رأيك؟
- نعم.. مذ هداني الله إلى طريقه.

فتساءلت أمه بقلق:

- هل انضممت إلى التيارات التى يتحدثون عنها؟
- هدانى الله إلى طريقه!
- إنه طريق شديد الخطورة.
-هو طريق الله ولا يهم ما عدا ذلك.
- لم تحدثنا من قبل بهذه اللهجة؟
- كنت فى غيبوبة الجاهلية.. «صباح-٦٤، ٦٥»

الأب والأم لا يضمران للدين شرا ولا خيرا، وهما بعيدان عن الإلحاد والكفر بقدر ابتعادهما عن الإيمان والتدين. مسلمان هما بالاسم، فأين العقيدة والسلوك؟!. المنطق الذى يتسلح به الابن الشاب يحاصرهما، ومفرداته تكشف عن التزام صارم ويقين نهائى يرى الصواب المطلق والحقيقة الوحيدة فيما يؤمن به، والجاهلية والكفر من نصيب الآخرين!. أليس أن ما يردده هو الحصيلة المنطقية المتوقعة لأفكار سيد قطب وممارسات الإخوان المسلمين؟.

الإسلام عند سامح لا يقتصر على الاسم وبطاقة الهوية، ولا يقنع بالفرد وعالمه المحدود، فهو منظومة متكاملة ينبغى أن يخضع المجتمع لها.

افراد التيار الجديد المتشدد لايراعون الانتماء الأسرى والعواطف الإنسانية، ذلك أن «إيمانهم» لا يعبأ بكل ما هو موروث وسائد فى الحياة الاجتماعية المتسامحة، ويدفع الأبوان ثمنا فادحا للهداية التى حطت على ابنهما: وضاعف من همهما أنه دأب على تجنبهما تماما، فهو إما فى الكلية أو فى جامع الحى، أو فى حجرته. طعامه يتناوله فى المطبخ. إنها مقاطعة مطلقة. «نفسه -٦٦»

تزايدت أعداد المنتمين للتيارات الجديدة بفضل الحركة النشيطة فى الجامعات والمساجد التى يسيطر عليها المتطرفون ويتخذون منها مراكز لنشر أفكارهم، والسلوك الجاف مع الأسرة يعنى سلوكا

أكثر عنفا وحدة مع المجتمع كله، فهو مجتمع كافر تحكمه سلطة كافرة، والمقاومة تصل إلى مرحلة المواجهة المسلحة والعنف المتبادل مع السلطة: فما يدرى ذات يوم إلا وشكرى يُلقى القبض عليه فى أعقاب معركة دامية مع الشرطة بتهمة القتل. أدرك سامح أنه خسر ابنه الوحيد الذى عقد به آماله، وانطلق يبحث عن محام قديرويدبر له المال اللازم من مدخراته وبيع بعض حلى زوجته. ورفض الشاب مقابلة والديه وأنكرهما. وفسد مذاق الحياة تماما، ومرت الأشهر السابقة للمحاكمة كأسوأ ما تكون الأيام. وتمت المحاكمة وقضى على الشاب بالشنق، ونفذ الحكم، وأسدل الستار على المأساة الدامية. «نفسه–٦٧»

الابن الشاب ينكر الأب والأم والمجتمع والنظام جميعا، ويقين أفراد التيارات المتطرفة يتجاوز تعصب الإخوان المسلمين، ولاينفصل عنه. قد يكون من التبسيط المخل غير ا لموضوعى أن يُتهم السادات بأنه صانعهم والإخوان المسلمون بأنهم آباؤهم الروحيون، لكن من الخلل الفادح أن يُبرأ السادات والإخوان من مسئولية التمهيد والتشكيل والسعى المحموم إلى الاستثمار السياسى غير المحسوب.

شكرى سامح ليس نموذجا استثنائيا، وفى قصة «السيد س» أسرة مصرية تقليدية يتوزع أبناؤها بين مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية، وواحد منهم ينتمى إلى التيار الدينى المتشدد: أطلق الرابع لحيته وقذف الجميع بتهمة الكفر «التنظيم –١٠١»

وسرعان ما تتفاعل معه السلطة، وتبدأ دائرة لا نهائية من الصراع العنيف: تورط فيما لم يجر لى فى بال وُحكم عليه بعشرين سنة. «نفسه ١٠٤»

وفى المجموعة القصصية نفسها، تكشف قصة «المسخ والوحش» عن جيل أكبر سنا ينتمى إلى التيار المتطرف الذى يرفع رايات

التكفير، ويبالغ فى تأكيد خروجه عن المجتمع والقطيعة الكاملة مع قيمه ومعتقداته وسلوكه: تذكرت صديقا قديما انخرط منذ أعوام فى تيار دينى متطرف فقصدته دون تردد. استقبلنى مداريا فتوره إكراما للعهد القديم ولكنه امتنع فى الوقت نفسه عن مصافحتى متمتما:

- معذرة، لا أصافح كافرا!. «نفسه-١٢٤»

الامتناع عن مصافحة «الكافرين» ليس إلا فعلا فرديا هامشيا، ينم عن التعنت والمبالغة فى التشدد، والرؤية الأكثر شمولا تقتحم الثوابت العامة وتهدد بزلزلة كل ما هو مستقر. الصديق القديم يختصر الفكر الذى يؤمن به فى قوله: المسوخ هم حكام البلاد الإسلامية ورجال الدين بها، ومسوخ المسوخ هم جمهرة المسلمين، وأما الوحش فهو نظام الحكم فى كل مكان.. «نفسه-١٢٥»

الظاهرة أعظم شيوعا من النطاق المحلى المحدود، وحاملو الأفكار المتطرفة يديرون ظهورهم للعصر ويخاصمون الحياة ويسعون إلى الخلاص عبرمبادرات وممارسات غير مسبوقة.

محمود المحروقى، الذى يظهر بشكل هامشى عابر فى «يوم قُتل الزعيم»، واحدمنهم: حل مشاكله بالمروق من العصر. إنه يعتقد أنه هزم العصروطوعه لأغراضه. ماذا صنع بنفسه؟ تعلم حرفة السباكة. دفن شهادته فى أول وعاء قمامة. سألته والدكان؟. أجاب دون أن يبتسم فنادراما يبتسم «أسير حاملا حقيبة حاوية للأدوات وأنادى سباك.. سباك.. فتتهال علىَّ الطلبات، سأصير قريبا أغنى من سيدنا الزبير». وعندما هممت بالانصراف قال لى ساخراً، «أدعوك للدخول فى دين جديد اسمه الإسلام». «يوم-٤٨، ٤٩»

احتقار للعلم واحتكار للدين، ونفور من الحياة، وكراهية للمرح والابتسام، وتشبث بالتجهم والكآبة، ورغبة عارمة فى ممارسة العنف والتنكر لكل ما هو عصرى وعقلى.

السادات وحده ليس مسئولا عن تصاعد القوى المتطرفة، فالمناخ الموضوعى هو صانعهم والمساعد على نموهم وانتشارهم. الإخوان أنفسهم لا يخفون قلقهم واستياءهم، فالاتجاهات العنيفة ليست امتدادا صافيا لما يبشرون به ويدعون اليه. سليم حسين قابيل يجسد الموقف الإخوانى الذى يجمع بين التعاطف والرفض: ولم يقلقه إلا التيارات الدينية الجديدة التى انبثقت من الإخوان، ثم شقت لنفسها مجارى جديدة محفوفة بالتطرف والغموض. وكان يقول لأخيه حكيم:

– ثمة صحوة إسلامية شاملة لاشك فيها، ولكنها بعثت فيما بعثت خلافات قديمة تستنفد قواها فيما لايجدى. «حديث-١١٢»

الإخوان هم الأصل، والمشكلة لا تكمن فى الاجتهادات الفقهية والانشغال بالطقوس والشكليات غير المجدية، لكنها فى السلوك العنيف والولع بالتكفير، وفى تاريخ الإخوان وأفكارهم ما ينبىء عن الجذور التى استقوا منها قبل أن يطوروا ويتطوروا!.

الإخوان والشيوعيون

على الرغم من الخلافات العميقة والتناقضات الواضحة بين الإخوان المسلمين والشيوعيين، فإنهما ينتميان إلى منظومة واحدة تمثل اتجاه الرفض السياسى والاجتماعى فى مصر. بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦، وعشية اشتعال الحرب العالمية الثانية، شهد الواقع المصرى ظهور اتجاهات واجتهادات جديدة، تشكل فى مجملها رفضا جذريا للسائد والمستقر على ساحة العمل السياسى والفكرى. ويرصد الوفدى على يوسف، فى قصة «أسعد الله مساءك»، أهم القوى التى تختلف كثيرا فيما بينها، وتتفق على إدانة القائم والسعى إلى تغييره وتجاوزه: ويحدثنى عن تيارات جديدة كالإخوان والماركسيين ومصر الفتاة. «صباح-١٢٠»

المنتمون إلى هذه الاتجاهات والأفكار يتفقون فى التمرد على الواقع ورفض معطياته، ويتفقون أيضا فى تعرضهم لبطش الحكومات والأنظمة التى تعاديهم جميعا. وفى قصة «العريس» تزكية لافتة للانتباه، بما فيها من دلالة تعلى من شأن السلبية السياسية: قلت إنك لم تنتم لحزب، ولاتنتمى لرأى، وأنك مخلص للدولة، لم تكن من الليبراليين ولا الشيوعيين ولا الإخوان، وذلك بلاشك يزكيك كزوج مأمون المستقبل!. «الجريمة-١٢٣»

السبيل الوحيد للأمان هو تجنب الانتماء السياسى والفكرى، والإخلاص للدولة والنظام، ومخاصمة الآراء والرؤى!. أصحاب الأفكار والأنشطة السياسية عرضة للخطر الدائم، لكن التاريخ المصرى يبرهن على وفرة من يعرضون أنفسهم للمخاطر، ويأبون الانصياع للسلبية والخنوع. الإخوان والشيوعيون هم الأعظم حظا فى رفض النصيحة التى تقدمها قصة «العريس»، وفى الحياة الواقعية كثير من النماذج الشهيرة التى تؤكد انقسام أعضاء الأسرة الواحدة بين اتجاهات مختلفة إلى درجة التناقض، ويجسد عالم نجيب محفوظ هذه الظاهرة عبر أعمال مختلفة: الشقيقان عبدالمنعم وأحمد فى «السكرية» يتوزعان بين الإخوان والماركسيين، والإخوانى محمد حامد برهان فى «الباقى من الزمن ساعة» ينجب فتاة شيوعية، والابن الذكر الوحيد للعلمانى اللادينى سامح شكرى، فى قصة «صباح الورد»، ينتمى إلى جماعة إسلامية إرهابية متطرفة، والشقيقان صبرى وإبراهيم فى «قشتمر» يتجهان إلى الإخوان واليسار!.

الاختلاف الجذرى العميق بين الإخوان والشيوعيين لا ينفى أنهما يعبران، كل على طريقته، عن واقع يتسع لهما معا، وأنهما ينتميان إلى منظومة الرفض والتمرد التى تحتج على السائد وتطرح بديلا له.

فى حجرة مكتب المحامى جعفر الراوى، تتصارع الأفكار التى تجسد بدقة خريطة الأفكار والاتجاهات السياسية المصرية: الليبرالية والاشتراكية والشيوعية والفوضوية والسلفية الدينية والفاشستية. «قلب-١٢٢»

وفى قصة «نورالقمر»، يحار الضابط المتقاعد أنور عزمى بين التيارات الجديدة التى يموج بها الوطن: تيار دينى عنيف، تيار يسارى متطرف، تيار فاشستى حاد. «الحب فوق-٤٧»

الإخوان المسلمون، الموصوفون بالسلفية الدينية والتيار الدينى العنيف، والشيوعيون، التيار اليسارى المتطرف، هم الأكثر أهمية وحيوية، والأقدر على الاستقطاب والتأثير. قبل ثورة ٢٣ يوليو كانا الأوفر نشاطا وحركة، ومن المنطقى أن تعاديهما الثورة حتى تخلو لها الساحة وتستطيع الاستئثار بالسلطة: وحلت الأحزاب وضرب على أيدى الإخوان والشيوعيين. «المرايا-٢٦٦»

وينتقد المفكر اليسارى سالم جبر سياسة الثورة التى أبعدت القوى الفاعلة ذات البرامج المختلفة: ولما حاربت الحكومة الشيوعيين والإخوان المسلمين قال:

- هاهم يقضون على القوى الإيجابية فى الأمة، فلا شيوعية ولا إخوانية ولا أحزاب، فعلى من يعتمدون فى تحقيق سياستهم؟.. «نفسه-١١٦»

يغيب عن المفكر اليسارى المستقل أن ضباط يوليو ينفذون سياستهم الخاصة، ويطبقون أفكارهم الانتقائية التى تزيح كل ما يخالفها، ولا يشعرون بالارتياح لقوى كانت مرشحة للإطاحة بالنظام السابق وقيادة الثورة ضده.

فى حواره مع الصحفى الوفدى العجوز المتقاعد عامروجدى، يتساءل منصور باهى:

-أليس غريبا أن تحمل على النقيضين معا، أعنى الإخوان

والشيوعيين؟

ويرد عامر وجدى:

-كلا، كانت فترة حيرة، ثم جاءت الثورة لتمتص خير ما فيهما معا. «ميرامار-٥٦»

ما الذى امتصته ثورة يوليو من الإخوان والشيوعيين، وكيف؟!

هذا ما لايحدده عامر، ولا يهتم منصور بالتساؤل عنه!.

الاتجاه الليبرالى المعتدل، ممثلا فى عامر، يضيق بأفكار الإخوان والشيوعيين معا، وممثل الاتجاه الناصرى سرحان البحيرى لا يختلف فى ضيقه ورفضه، بل إنه يجد فيهما «فزاعة» تبرر التمسك بثورة يوليو والدفاع عنها: البعض يضيقون بالثورة، ولكن أى نظام يمكن أن يحل محلها؟. فكر قليلا أو كثيرا فلن تجده خارجا عن واحد من اثنين، فإما الشيوعية وإما الإخوان، فأيهما تفضل على الثورة؟!. «نفسه-٢٦٥»

كلا البديلين المطروحين كريه ومرفوض عند الكثيرين من أعداء ثورة يوليو نفسها، والثورة بديل مقبول وأقل شرا!.

المنطق نفسه يطرحه الدكتور زهير كامل، الذى تخلى سريعا عن وفديته وسار فى ركاب ثورة يوليو: لست ثوريا، فكما لا أوافق على رجعية الإخوان فإنى لا أوافق أيضا على ثورية الشيوعيين. «المرايا-١٠٣»

المسألة ليست فى الموافقة على رجعية الإخوان وثورية الشيوعيين، لكنها فى حق من يختلف معهم أن تتاح لهم حرية التعبير عن الأفكار التى يؤمنون بها، وأن يكون للشعب وحده حق الاختيار.

استقرت ثورة يوليو فى السلطة بلا شريك، وتساقط معظم خصومها عاجزين عن الاستمرار والتأثير فى ظل سياساتها التى ترفض الشركاء والحلفاء والمعارضين. الغالبية العظمى تؤيد سلطة

يوليو وتتغنى بإنجازاتها، والشباب هم الأكثر حماسا وتأييدا، ولا يقوى على الصمود إلا بقايا الإخوان والشيوعيين:

قد تند عنهم أيضا أصوات معارضة توحى بيسارية متطرفة أو إخوانية حذرة هامسة، ولكنها لا تلبث أن تضيع فى الهدير الشامل. «الكرنك-١٠»

ما الذى يضير الهدير الشامل لو أنه استوعب معارضة هينة قد تهدى إصلاحا، أو تقوم اعوجاجا وانحرافا؟!.

عند اعتقاله بلا تهمة، يفكرالناصرى الخالص إسماعيل الشيخ:

ورحت أتساءل عن التهمة المأخوذ بها، لست شيوعيا ولا من الإخوان ولا إقطاعيا، ولم يلفظ لسانى بكلمة تنال هيبة العهد الذى أعده عهدى منذ وعيت ما حولى«نفسه -٥١»

الإقطاعيون أفراد لاشأن لهم ولا تنظيم يجمعهم، وأول ما يتبادر إلى ذهن إسماعيل ويبادر بنفيه، أنه محسوب على الشيوعيين أو الإخوان، فالقوتان المتنافرتان هما الصامدتان فى خندق المعارضة، والمنتمون إليهما مرشحون دائما لمخاطر المطاردة والاعتقال.

فى مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، تجمع دار الطلبة فى رواية «القاهرة الجديدة» بين الوفديين واليساريين والإسلاميين والانتهازيين، والاختلاف بينهم لاينفى المودة والتواصل الإنسانى. وقبيل نهاية الرواية بسطور قليلة، يقول مأمون رضوان، ممثل الاتجاه الإسلامى، لصديقه اليسارى على طه، فى جلسة للاحتفال بمجلة جديدة جادة يصدرها على للتبشير بأفكاره الاجتماعية التقدمية:

- ترى أنصير فى المستقبل عدوين لدودين؟

ويتدخل صديقهما الوفدى أحمد بدير:

- لاشك فى هذا. ستهاجمك هذه المجلة التى تباركها الآن بتمنياتك وستتهمك غدا بالرجعية والجمود، وستتهم أنت صاحبها-

صديقك- بالزيغ والكفر والإباحية. «القاهرة-٢٠٨»

تصح نبوءة أحمد بدير، وكان لابد أن تصح. انتماء الإخوان والشيوعيين إلى جبهة الرفض لا ينفى ما بينهما من خلافات تقود إلى تبادل الاتهامات، وتشعل المعارك والصراعات.

●●●

قبل أن تتبلور ملامح التشكيل الفكرى والسياسى للشقيقين عبدالمنعم وأحمد، يظهر الخلاف بينهما واضحا جليا، كانا فى المرحلة الثانوية، عندما يشن عبدالمنعم هجوما مبكرا على الفكر الذى يتجه إليه أخوه: وهو شىء مخيف هدام «السكرية -٣٠»

قد يتسم هجوم عبدالمنعم بقدر من الفكاهة والمرح، كما هو الحال فى الحوار العائلى العابر عن متاعب السكان ومطالبهم بتأجيل دفع الإيجار المستحق: إنه غير مقتنع بأنه من حق بعض الناس أن يملكوا بيوتا على الإطلاق. «نفسه-٩١»

فى إشارة إلى موقف الماركسية من الملكية الخاصة، وهى إشارة تفوق طاقة الأب والأم على الفهم والإدراك، لكن الهجوم يبدو شرسا عنيفا عدوانيا، فى الجلسة العائلية نفسها، فهو يتهم أخاه بالكفر والإلحاد: هذا الشاب لا دين له، هذا ما بت أعتقده. «نفسه-٩٢»

وعندما تحتدم المناقشة بينهما فى الجامعة، يصل انفعال عبدالمنعم المتطرف إلى الدرجة التى يكره فيها فكرة أخوة أحمد له. «نفسه-١٦٠»

عبدالمنعم يهاجم أخاه ويتهمه فى دينه، ويتهكم على أفكاره واصفا إياها بالشىء المخيف الهدام، لكنه لايقدم نقدا موضوعيا حقيقيا للماركسية التى يعاديها، فالموقف الهجائى يميل إلى العمومية ويخلو من التحديد والتحليل العلمى والوعى بالأبعاد المتشابكة للأفكار التى يعتنقها أخوه.

الأمر نفسه نجده فى مقولات القائد والمفكر الإخوانى البارز عبدالوهاب إسماعيل، سيد قطب، ففى المرحلة الأخيرة المتطرفة من حياته الحافلة، يصف الاشتراكية والوطنية والحضارة الأوروبية بأنها: خبائث علينا أن نجتثها من نفوسنا.

ويمتد هجومه الضارى فيصل إلى العلم، الذى سنظل مسبوقين فيه، داعيا إلى التمسك برسالة الإسلام وعبادة الله وحده: لا رأس المال ولا المادية الجدلية. «المرايا-٢٠٨»

مفردة مثل «الخبائث» لايمكن أن تعنى شيئا مفهوما مقنعا فى حوار فكرى جاد، والجمع بين الاشتراكية والرأسمالية والوطنية والعلم فى سلة واحدة دليل على درجة غير مسبوقة فى التطرف الذى يتجاوز كل الحدود، ومثل هذا النمط من التطرف العصبى لا يهتم بالنقد العلمى المنطقى، مكتفيا بترديد الشعارات ذات الطابع الإنشائى الفضفاض.

ولاجديد ينفرد به محمد حامد برهان فى هجومه على الشيوعية والشيوعيين، فهو يقنع بالاتهامات العامة، ويخلط السياسى بالفكرى، ويأبى إلا أن يزج بثورة يوليو وزعيمها عبدالناصر فى معسكر المتحالفين مع الكفر والالحاد.

الاتحاد السوفيتى عنده مرادف للإلحاد والملحدين، وثورة يوليو متهمة بالتعاون مع الدولة الملحدة والاعتماد عليها فى تحقيق قوتها العسكرية. واللافت للنظر أن من يحسب نفسه على ثورة يوليو، سليمان بهجت، يتخذ موقف الدفاع السلبى فى سذاجة تنم عن قصور وعيه الفكرى والسياسى: نحن نأخذ منهم السلاح والعدالة ولا شأن لنا بإلحادهم!. «الباقى-٦٩»

فكأنه يوافق ضمنا على أن يكون الإلحاد من المفردات المستخدمة فى لغة الحوار السياسى، وأداة لتقييم العلاقات والتحالفات الدولية بالغة التركيب والتعقيد!.

بعد هزيمة ١٩٦٧، يشتد هجوم محمد على السلطة الناصرية والاتحاد السوفيتى والشيوعيين المصريين، واضعا الجميع فى خانة واحدة: ما نحن اليوم إلا إقليم تابع للاتحاد السوفيتى، لم تنتصر إسرائيل والولايات المتحدة فقط، لكن الاتحاد السوفيتى انتصر أيضا، أذنابه يقولون اليوم بكل قحة إن الاشتراكية أهم من سيناء. «نفسه-٩٢»

لم تكن مصرالناصرية يوماً من «الأقاليم» التابعة للاتحاد السوفيتى كما يقول محمد فى بساطة يقينية تثير الدهشة، ولم يعلن الشيوعيون المصريون يوما أن الاشتراكية عندهم أهم من سيناء، فضلا عن أنهم ليسوا «أذنابا». لا ينبغى للخلاف السياسى والعداء الفكرى أن يكون شتما وهجاء فحسب، بل يحتاج ايضا إلى تأمل وتحليل ووضع العبارات فى نسق موضوعى يحول دون ابتذالها وتشويهها.

يرى محمد أن الشيوعيين وحدهم من يعرفون التوازن والاستقرار بعد الهزيمة، وإذ يرد مندوب ثورة يوليو فى تخاذل:

- لسناشيوعيين على أى حال.

يواصل محمد هجومه الحاد، خالطا فى رده بين السياسى والدينى:

- ولكنكم ذيول لهم، لو صدقتم فى قتال إسرائيل عشر صدقكم فى قتال المسلمين لكتب لكم النصر. «نفسه-٩٣»

من هم المسلمون الذين أخلص النظام الناصرى فى قتالهم، مهملا فى قتال إسرائيل؟!. الإخوان المسلمون هم «المسلمون» الذين قاتلهم عبدالناصر، ويتناسى محمد أنهم «سياسيون» لايحق لهم احتكار تمثيل المسلمين، وأن صراعهم مع عبدالناصر كان سياسيا خالصا، وأن صراعا مماثلا لايقل قسوة قد خاضه النظام ضد الشيوعيين من «أذناب» السوفيت!.

لا يقدم محمد حامد نقدا فكريا سياسيا متماسكا واضح المعالم لأعدائه وخصومه من الشيوعيين، وينصب اهتمامه الأكبر على تهمتى الإلحاد والتبعية للاتحاد السوفيتى، ويتسع الاتهام ليطول عبدالناصر. الموصوف بموالاة الملحدين والخنوع لهم وإن لم يكن من الشيوعيين!.

وعلى الرغم من صرخات محمد التى لا تتوقف طوال الرواية عن غياب الحرية فى العهد الناصرى، وغياب الأمن والأمان، وإلحاحه على محاربة عبدالناصر للإخوان المسلمين وتنكيله بهم، فإنه لا يتوافق مع رؤيته هذه فى تقييمه للعنف الذى مارسه السادات ضد اليساريين، وقمعه الوحشى للمظاهرات الطلابية. فى إحدى هذه المظاهرات يُقتل الماركسى عزيز صفوت، صديق أبناء محمد، وعندما يصله الخبر، ويرصد التأثير المدمرالذى لحق بابنته سهام، ذات الصلة العاطفية الوثيقة مع القتيل، لايجد ما يقوله إلا الدفاع عن النظام والسعى إلى تبرئته: حدج ابنه بنظرة متفحصة كأنما يحقق معه وسأله:

- معروف أنه انقطع عن الدراسة فماذا دسه بين المتظاهرين من الطلبة؟

- لعله ذهب كصحفى!

- بل ذهب للتحريض كشيوعى.. «نفسه-١٢٤»

وكأن قتل الشيوعيين، المندسين المحرضين، عمل منطقى مشروع لا يناقض الشعارات المدوية عن الحرية الضائعة والقمع البوليسى فى العهد الناصرى!.

الإخوان المسلمون فى عالم نجيب محفوظ، ممثلين فى عبدالمنعم شوكت وعبدالوهاب إسماعيل ومحمد حامد برهان، لايملكون القدرة على صياغة رؤية نقدية متكاملة متماسكة للماركسية، ولغتهم إنشائية فضفاضة تميل إلى التعميم والاتهام المطلق، وتركز

على الإلحاد كسمة رئيسة تدعو إلى النفور والكراهية.

وفى المقابل، يشن ماركسيو نجيب محفوظ هجوما عنيفا على الإخوان، فكرا وتنظيما، ولا يقنعون بالاتهامات المطلقة، بل يغوصون فى عمق الرؤى والممارسات الإخوانية، مسفهين ناقدين كاشفين عن التناقضات والمثالب.

●●●

فى جلسة تجمع خليطا من طلاب الجامعة المصرية فى نهاية الثلاثينيات، يعرض عبدالمنعم شوكت فكر الإخوان المسلمين ويشرح أسس دعوتهم. ويعلق أحد الطلبة المستمعين ساخرا:

- احترنا ياهوه بين الديموقراطية والفاشستية والشيوعية، هذا خازوق جديد!

ويتدخل أحمد شوكت ضاحكا:

-لكنه خازوق ربانى!. «السكرية- ١٥٦»

مثل هذا التقييم التهكمى الساخر بمثابة الوجبة الخفيفة المرحة فى حملات الماركسية على الإخوان، ولعل طبيعة الجلسة الشبابية وأخوة أحمد لعبدالمنعم هما المسئولان عن اختلاط الفكاهة بالجد، وهو ما يكرره أحمد ليلة زفاف شقيقه، إذ يعبر عن رأيه فى أفكار الإخوان ساخرا:

- تراجعت المنظرة فى الزمان ألف عام!

ويعلق على مناقشاتهم الحماسية الغاضبة:

- إنهم أعداء الإنجليز والألمان والروس جميعا، وهكذا لم يرحموا العريس حتى ليلة زفافه. «نفسه-٣٢٠»

فى المقابل، تظهر انتقادات جادة عنيفة تكشف عن جوهر الموقف الماركسى المتشدد فى مواجهة فكر الإخوان المسلمين، وما يحويه من

زيف وادعاء من منظور ماركسى.

جماعة الإخوان، عند الماركسية سوسن حماد، جزء من منظومة الأعداء التى تواجه فكر اليسار وحركته فى الداخل والخارج:

– أعداؤنا كثيرون، الألمان فى الخارج، والإخوان والرجعية فى الداخل وكلاهما شىء واحد..

وإذ يتطوع أحمد بتقديم رؤية أخيه المضادة:

– لوسمعك أخى عبدالمنعم لثار على رأيك، إنه يعتبر الإخوانية فكرة تقدمية تزرى بالاشتراكية المادية..

تندفع سوسن فى تسفيه المقولة الإخوانية ومهاجمة أسسها الدينية، قبل أن تقول بازدراء ينم عن العداء الأصيل الذى لا يقبل المهادنة:

– الإخوان يصطنعون عملةتزييف هائلة، فهم حيال المثقفين يقدمون الإسلام فى ثوب عصرى، وهم حيال البسطاء يتحدثون عن الجنة والنار، فينتشرون باسم الاشتراكية والوطنية والديموقراطية. «نفسه- ٢١٠»

الاشتراكية العلمية هى أساس التقييم عند سوسن، وهى لا ترى فى الإسلام اشتراكية حقيقية، ولا تجد عند الإخوان إلا براعة انتهازية تتمثل فى تعدد الوجوه التى يظهرون بها: عصريون مع المثقفين، غيبيون فى خطابهم الدينى المقدم للعاديين من الناس، مستثمرون للمناخ الوطنى الديمقراطى دون إيمان حقيقى بالوطنية والديمقراطية معا!.

ويشن الأستاذ التقدمى عدلى كريم حملة قاسية ضد الإخوان، مركزا على ما تتسم به أفكارهم وأساليبهم الحركية من ازدواجية وانتهازية سياسية. يسأله أحد الشباب اليساريين من أصدقاء أحمد شوكت وسوسن حماد:

– والإخوان يا أستاذ؟، لقد بتنا نشعر بأنهم عقبة خطيرة فى

سبيلنا!

فيوافقه الأستاذ على خطورة العقبة الإخوانية، قبل أن يهون من شأنهم ويراهن على إفلاسهم المستقبلى:

- لا أنكر هذا، ولكنهم ليسوا بالخطورة التى تتخيلها، ألا ترى أنهم يخاطبون العقول بلغتنا فيقولون اشتراكية الإسلام؟، فحتى الرجعيون لم يجدوابدا من استعارة اصطلاحاتنا، وهم لو سبقونا إلى الانقلاب فسوف يحققون بعض مبادئنا ولو تحقيقا جزئيا، ولكنهم لن يوقفوا حركة الزمن المتقدمة إلى هدفها المحتوم، ثم إن نشر العلم كفيل بطردهم كما يطرد النور الخفافيش!. «نفسه -٣٥٤»

فكر الإخوان عنده ظلامى تلفيقى انتهازى لايتعايش مع الأجواء العلمية والديمقراطية، لكن المراهنة على المستقبل وحتميته لا تخلو من نزعة غيبية تحيل الأمر كله الى مجهول لايمكن الاطمئنان إليه والثقة فيه، فهو رهين بتفاعلات معقدة عصية القياس فى ظل المتغيرات والانقلابات!.

الاتجاهان، الإخوان والشيوعيون، والشقيقان، الإخوانى عبدالمنعم والماركسى أحمد، يتبادلان الاتهامات القاسية، وكلاهما لا يستوعب وجود الآخر وإن عجز عن إنكار وجوده: الاخوان يتوقفون بإلحاح عند الموقف الماركسى السلبى من الدين، ويركز الماركسيون على خطاب الإخوان المزدوج وما يتسمون به من انتهازية فكرية وسياسية.

هل تصمد العلاقة الأسرية فى مواجهة الاختلاف الفكرى الجذرى؟.

أحمد وعبدالمنعم يتعاركان ويتعايشان، وسهام محمد حامد برهان تشعر بغربة متزايدة فى المناخ الأسرى الإخوانى المتنافر مع أفكارها اليسارية: وخيل إليها أن أباها- وشفيق أيضا- يرمقانها بعين

الريبة. وإن يكن فى ذلك شك فمما لاشك فيه أنهما لايباركان موقفها من الحياة. وكل يوم فهما يزدادان إسلاما فيزدادان خطرا وتزداد هى غربة. «الباقى -١٦٨»

مشاعر الحب الأسرى مهددة بالغربة الفكرية التى تعمق من هوة الخلاف، وتجعل التعايش شاقا مرهقا. الواقع المصرى فى حاجة الى الاتجاهين اللذين يجتهدان فى التفاعل معه، لكنه يحتاج أيضا إلى صياغة تتيح التعايش وتحول دون التكفير والتهوين!.

تنـويه

تم اختصار عناوين الأعمال الروائية والقصصية، الواردة فى متن الدراسة، على النحو التالى:

القاهرة الجديدة= القاهرة

السكرية = السكرية

ميرامار= ميرامار

تحت المظلة= تحت

المرايا= المرايا

الجريمة= الجريمة

الكرنك= الكرنك

قلب الليل= قلب

الحب فوق هضبة الهرم = الحب فوق

الباقى من الزمن ساعة= الباقى

أمام العرش= أمام

التنظيم السرى= التنظيم

يوم قتل الزعيم= يوم

حديث الصباح والمساء= حديث

صباح الورد= صباح

قشتمر= قشتمر

الفهــــرس

الصفحة

■ هذا الكتاب .. وهذا الكاتب ٣

■ المقدمة ٥

■ **الفصــــل الأول : أفكار ورؤى الإخوان** ١١

الإخوان والدين ١٣

الفكر السياسى للإخوان ٢٣

الإخوان والمرأة ٣٢

■ **الفصل الثــانى : الإخوان والقوى السياسية** ٤٥

الإخوان والوفد ٤٧

الإخوان وثورة يوليو ٦٠

الإخوان والسادات والتيارات الدينية الجديدة ٧٤

الإخوان والشيوعيون ٨٨

■ تنويه ١٠١

مسابقة
كتاب اليوم
الأدبيــة

تحت رعاية «الشركة العربية للحاسبات الآلية»

تتشرف دار أخبار اليوم تحت رعاية الشركة العربية للحاسبات الآلية بالإعلان عن مسابقة كتاب اليوم الأدبية.. وذلك من منطق إيمانها بضرورة تبنى المواهب المصرية الأصيلة.. ومساندة الفكر والإبداع.. وإطلاق ملكات الابتكار فى كل ربوع الوطن.

وسوف تضم الجائزة فرعين من فروع الأدب هما فرعا القصة القصيرة.. والرواية.. كما ستضم «أمانة الجائزة» لجنة تحكيم مكونة من كبار الكتاب والنقاد، ورئيس تحرير كتاب اليوم وممثل الشركة الراعية.

جوائز المسابقة:

أولا : جوائز الرواية :

١ ـ الجائزة الأولى : عشرة آلاف جنيه

٢ ـ الجائزة الثانية: ثمانية آلاف جنيه

٣ ـ الجائزة الثالثة : خمسة آلاف جنيه

ثانيا جوائز القصة القصيرة :ـ

١ـ الجائزة الأولى : خمسة آلاف جنيه

٢ـ الجائزة الثانية: أربعة آلاف جنيه

٣ـ الجائزة الثالثة : ثلاثة آلاف جنيه

٤ـ من الجائزة الرابعة حتى العاشرة ألفا جنيه

شروط التقدم للجائزة:

١ ـ ألا يكون العمل المقدم قد سبق نشره فى كتاب أو فاز فى مسابقة أدبية اخرى.

٢ ـ تقدم الأعمال من ثلاث نسخ بالإضافة إلى البيانات الشخصية لصاحب العمل (C.V) مرفقة بصورة فوتوغرافية.

٣ ـ ترسل الأعمال إلى العنوان التالى: دار أخبار اليوم - مكتب رئيس تحرير كتاب اليوم - ٦ شارع الصحافة - القاهرة.

٤ ـ آخر موعد لاستلام الأعمال هو أول ديسمبر ٢٠٠٥.

٥ ـ تعلن نتائج المسابقة أول مارس ٢٠٠٦ وتوزع الجوائز فى حفل كبير.

٦ ـ تنشر الأعمال الفائزة فى سلسلة «كتاب اليوم».

مفاجأة

كتاب اليوم

أول كتاب يصدر من

السلسلة الجديدة

روائع

كتاب اليوم

محمد صلى الله عليه وسلم

بقلم

توفيق الحكيم

يصدر أول أكتوبر

إذا وجدت أى مشكلة فى الحصول على «كتاب اليوم».

إذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات. فلا تتردد فى الاتصال بنا على :

أرقام :- ٥٧٨٤٤٤٤ - ٥٨٠٦٢٣٥

أو على : Nawal @akhbarelyom.org

رقم الايداع ١٥٧٤١ / ٢٠٠٥

I.S.B.N.977-08-1237-4

مطابع أخبار اليوم ٦ أكتوبر

كوبون اشتراك

الاســــــم: ....

العنــــــوان:

رقم التليفـون: ....

مدة الاشتراك: ....

السداد/ نقدا   شيك مصرفى

برجاء قبول اشتراكى فى كتاب اليوم.. ومرفق طيه شيك مصرفى لأمر اشتراكات أخبار اليوم على ان يبدأ الاشتراك اعتبارا من   /   /   ٢٠٠

لأول مرة فى مصر
سخان بالتكنولوچيا الكريازية..

زرار المواسم (للتوفير فى استهلاك الغاز)
بالضغط على مفتاح التشغيل الصيفى يقوم السخان بتشغيل نصف عدد الشعلات وبذلك يمكن الحصول على مياه فاترة بدون الحاجة لخلط المياه وينصف كمية الغاز.

زرار الأمان (يحافظ على أمان طفلك)
تتيح لك هذه الخاصية إمكانية فصل السخان بالكامل ولا يعمل حتى مع فتح المياه وذلك لحماية الأطفال من العبث بمخارج المياه الساخنة.

الشاشة الديچيتال (لإظهار حرارة المياه)
تتيح لك هذه الخاصية بيان درجة حرارة المياه الخارجة من السخان.

الوكيل الوحيد
صادكو ١٩١٤٠

القاهرة : المركز الرئيسى - جسر السويس - ت : ٦٩٨٤١١٥ - ٦٩٨٣٣٠٠ - ٠١٢/٢٢٦٠٢٣٢ - ٢/٢٢٦٠٢٤٢
الإسكندرية : ١٧ شارع محمد حسين - سيدى بشر - الترام - ت : ٣٥٨٧٢٢٧/
المنصورة : ١١ شارع البشبيشى - من شارع كلية الآداب - ت : ٠٥٠/٢٢٥٦٨١٥ - ٢/٣٩٨٥١٥٣/٤/٥/٦
المصانع : مدينة العبور - طريق بلبيس الصحراوى - ت : ٤٦٩٠٠٥٠ - ٤٧٨٠٤٧٨ - ٤٧٨٨٨٨٨/
E-mail : 19091@kiriazi.com
مراكز خدمة وصيانة كريازى **١٩٠٩١**

كريازى
..حبى واعتزازى

تكنو & تكنوجاز

تقدم أحدث موديلات ٢٠٠٥

تكنو بومبيه

ياماشاء الله عليه

خبرة إيطالية بأيدى مصرية

تكنولوچيا جديدة
فى عالم البوتاجازات

المواصفات :

- لأول مرة فى مصر بومبيه فى كافة الاتجاهات
- شعلة كبرى ثلاثية (آلترابيد)
لضمان الطهى السريع
- زجاج باب الفرن بومبيه عاكس حرارى
- إنزلاق رف الفرن الى الأمام عند فتح باب الفرن
- مقبض باب الفرن بومبيه
من البكاليت الذى يتحمل الحرارة
- ضمان لمدة ٥ سنوات

الاكثر مبيعاً فى مصر

متوافر لدى القطاعين العام والخاص

بشارع عبد العزيز وجميع المحافظات وبمعارض الشركة

فرع عبد العزيز : ١ ش الطوبجي متفرع من ش عبد العزيز ت : ٦٠

فرع الجيزة : ٣ ش الجامعة . ميدان الجيزة ت : ٩ / ٧٠

فرع الأسكندرية : عمارات الشرطة محطة مصر ت : ٦٩١

01

طبع بمطابع أخبار اليوم

الثمن 6 جنيهات

6 222007 800078